المستشرقون ومنهج التزوير والتلفيق فى التراث الإسلامى



طارق سرى

مكتبة النافذة

المستشرقون ومنهج التزوير والتلفيق فى التراث الإسلامى

طارق سرى

مكتبة النافذة

المستشرقون ومنهج التزوير والتلفيق

فى التراث الإسلامى

الطبعة الأولى/2006

رقم الإيداع ٢٤١٢٩/2005



الناشر: مكتبة النافذة

المدير المسئول: سعيد عثمان

الجيزة ٢شارع الشهيد أحمد حمدى - الثلاثينى - فيصل

تليفون وفاكس: ٧٢٤١٨٠٣

Email : alnafezah@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ولَن تَرْضَى عَنكَ اليَهُودُ ولا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾

[البقرة: ١٢٠]

﴿وقَالُوا كُونُوا هُوداً أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً ومَا كَانَ مِنَ المُشْرِكِينَ﴾

[البقرة: ١٣٥]

﴿ولا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾

[البقرة: ٢١٧]

أهدي هذا العمل:

إلى الأمة الإسلامية في محنتها التي تتعرض لها في هذه الأيام، من صنوف شتى من الحروب الثقافية والفكرية والحربية، ومحاولة محاصرتها بكل الطرق..

وإلى المجاهدين في كل بقاع الأرض في فلسطين والعراق والشيشان وغيرهم، وأرجو من الله أن تعود أمتنا إلى سابق عهدها، ملتزمة بشرع الله وسنة رسوله، وأن يرحمنا برحمته...

وأن ينصر المجاهدين...

والله ولي الصابرين.

مُقَدِّمَة

يمتد تاريخ الصراع بين الخير والشر والحق والباطل إلى زمن بعيد، بداية من وسوسة الشيطان لآدم، وإذا كان ذلك الزمن قد مرَّ منذ زمن بعيد؛ فمن أين نستقي التاريخ؟ وعلم التاريخ من أشرف العلوم وأجلها؛ لأنه يوقفنا على أخبار وحوادث السابقين، وإذا أردنا أن نستقي تلك الأخبار مثلاً من التوراة، فإننا سنجد اختلافات شتَّى وأساطير عدة، فمثلاً نجد أن نسخ التوراة قد اختلفت في تحديد الزمن منذ آدم إلى نوح ومنذ نوح إلى إبراهيم.

جاء في سفر التكوين... الأصحاح الخامس: "هذا كتاب مواليد آدم يوم خلق الله الإنسان على شبه الله، عمله ذكرًا وأنثى خلقه وباركه، ودعا اسمه آدم يوم خلقه، وعاش آدم مئة وثلاثين سنة، وولد ولدًا على شبهه كصورته ودعا اسمه شيثًا، وكانت أيام آدم بعدما ولد شيثًا ثماني مائة سنة وولد بنين وبنات، فكانت كل أيام آدم التي عاشها تسع مائة وثلاثين سنة ومات.

"وعاش شيث مائة وخمس سنين وولد أنوش، وعاش شيث بعدما ولد أنوش ثماني مائة وسبع سنين وولد بنين وبنات، فكانت كل أيام شيث تسع مائة واثنتي عشرة سنة ومات..... إلخ[١].

وهكذا تتضارب النصوص، فالذين حاولوا حساب عُمر الإنسان على وجه الأرض اختلفوا في الحسابات، ففي الأولى يبلغ مجموع الأعمار من آدم إلى إبراهيم ٢٠٢٣ سنة، وإذا أردنا حسابها في الثانية فإن المجموع يكون ٢٣٣٤ سنة، وأما عن الثالثة فيبلغ مجموعها ٣٣٨٠ سنة.

---

(١) سفر التكوين: ٥: ١- ٨.

أما عن المدة من إبراهيم إلى عيسى ﷺ فنجدها ٢٢٠٠ سنة، وبذلك يكون أقصى مدة زمنية حُسبت منذ خلق الإنسان وحتى رسالة سيدنا عيسى ﷺ(٢).

وإذا أردنا أن نتبع مناهج المؤرخين؛ فسنجد أن هناك أخطاء، وذلك لانحياز البعض منهم نحو توجههم وقبلته ومذهبه أو عقيدته، ونقل الغث والسمين دون التأكيد والتثبيت مما ينقلونه؛ لذا وجب على المؤرخ أن يكون محايدًا وأن يتثبت مما ينقله، وأن يعرض تلك الأخبار على ميزان العقل والمنطق والواقع؛ لكي لا يقع في الكذب بتحقير عظيم أو تعظيم صغير وخلافه.

وإذا أردنا مثلاً أن نأخذ التاريخ من "**ول ديورانت**" صاحب أشهر كتاب وهو قصة الحضارة، فإننا سنجده يعتمد على حفريات لا نعلم زمانها ويعتمد على الظن، وذلك لا يُغني من الحق شيئًا.

إذن لا بد من النظر في شهادة وقول صاحب العالم وخالقه، فهو الخالق والمحيط بالأمور والأشياء كلها، وقوله حق وصدق، ولأن مجال البحث البشري يشوبه نزعات ورغبات ونقص في المعلومات، تجعله يعتمد على الظن دون التأكد، ولأن الإنسان لا يستطيع تعليل دوافع النفس البشرية، أما الخالق ﷻ فهو عالم محيط بالأمور يعلم دوافع النفس البشرية، مطّلع على الضمائر وبواطن الأمور؛ لذلك فإن أصدق تاريخ هو ما ورد في القرآن الكريم، وهذا ليس تحيزًا، فالقرآن منذ نزوله وحتى الآن وهو واحد لم يتغير حرف فيه، علاوة على إعجازه اللغوي والعلمي الذي يتكشف باستمرار ليدل على صدقه، وأنه من عند الله سبحانه وتعالى.

والقرآن ليس كتاب تاريخ بالمعنى المفهوم ولكنه يحتوي على تاريخ قصص من سبقونا من أحسن القصص، ويشمل على هداية وعلم ومنهج سيادة، وحقائق

---

(2) انظر الإنسان في ظل الأديان – المعتقدات والأديان القديمة – دكتور عمارة نجيب محمد ص١٦٤ – ١٦٥، طبعة مكتبة التوفيقية.

تنكشف لنا دومًا ترشدنا إلى أمور كانت غائبة عنا، سواء كانت علمية أو خلافه، والقران يفيد الإنسان في كل مكان وزمان، وذكر ما يفيد الإنسان بأساليب تتفق مع كل العصور ومختلف البيئات.

وحقيقة الأمر أننا لو رجعنا إلى التاريخ الإسلامي سنجده مشوش بأكاذيب وأضاليل وأباطيل لا أساس لها من الصحة، سواء كان عن بعض الخلفاء، وورود الأكاذيب التي تنتهي بِسَبِ الصحابة، ونسبت لهم أمور لم يفعلوها ولا تنسب لهم أصلاً، وكذلك بعض ما ورد عن أن الأمير الفلاني قد أحب النساء وبذل الأموال لهم، مثلما قيل عن هارون الرشيد وشوهت صورته..... إلخ.

تلك الأباطيل تَهْدف إلى تشويه صورة أعلام المسلمين من الصحابة أو الحكام أو رجال الدين، وتَهْدف إلى هدم التاريخ الإسلامي وتشويه رجاله، الذين بذلوا أنفسهم وأموالهم في سبيل الله، وتكونت أحداث التاريخ على أكتاف أفعالهم الطيبة، ويريدون التشكيك في الفتوحات الإسلامية، وتشويه صورة الجندي المسلم الذي حارب في سبيل الله لا في سبيل أرض أو مال أو جاه، وإنما لإعلاء كلمة الحق وهي **"لا إله إلا الله محمد رسول الله"**.. ورفع الظلم عن الضعفاء المظلومين.

وأرى أن تلك الهجمة الشرسة المتغيرة في أسلوبها في كل عصر والممتدة منذ ظهور الإسلام، بيد أنها ملتوية حسب شكل الزمن الحادث، وذلك لهدم التاريخ الإسلامي. ومحاولة تزوير التاريخ ترجع لأسباب منها:

أولاً: دخول بعض من حقدوا على الإسلام من أهل الكتاب والمشركين، وذلك لبَث سمومهم من الداخل في بعض المسلمين الغير فاقهين لأمور دينهم، ولمحاولة تحويل تلك الأفكار الإسلامية إلى أفكار تُحسب على الإسلام لا إليه، وخلق صف من المسلمين مشوش يُسيء إلى الإسلام، ويصبح حجر عثرة في تقدمه وليحدث قلاقل داخله، وليُستخدموا في الإساءة إليه دون أن يشعروا إن كانوا لا يفقهون.

أما ضعاف النفوس الذين يضلون أن يتبعوا أنفسهم دون الانتماء إلى دين الله، كانوا أيضًا عنصرًا فعالاً في ذلك الأمر الخطير، الذي ما زلنا نعاني منه حتى الآن. ومن أمثلة ذلك عبد الله بن سبأ، الذي ما زالت فتنته مشتعلة حتى الآن ولها أنصار كثيرون يشوشون على الإسلام ويسيئون إلى صورته ويحدثون القلاقل من حين لآخر.

ثانيا: وهي أن كثيرًا مِمن كتب التاريخ الإسلامي كانوا من الموالي، وهؤلاء منهم من لا يُؤمن شره؛ لعدم معرفة تمسكه بالدين، ولأن منهم من أسلم ظاهرًا وظل على عقيدته الأخرى باطنًا، فكتب ما اشتهت نفسه ضد الإسلام والمسلمين، والحقيقة أنني لست ضد الموالي لصفتهم تلك، وإنما مَن يتبع التاريخ الإسلامي سيجد أن من هؤلاء من أضمر الشر للمسلمين، وهذا ما كشفته حوادث الزمن وما كشفته كتاباتهم وتعارضها مع الجمع من المؤرخين.

ثالثًا: توسعات الفتوحات الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين وفي الدولة الأموية، ودخول الكثير في الإسلام، ليظهر منهم من يحاول نشر عادات وتقاليد قد ألفها قبل دخوله الإسلام، ويعلن أنها من أساسيات وأصول الإسلام، وبذلك يلصق للإسلام ما هو بريء منه، وانخداع البعض من الجهلاء بتلك الدعوى، والذين ليس لهم علم بما كان عليه الصحابة والسلف الصالح.

رابعا: ظهور طوائف وفرق لم تكن موجودة وتشعبت، وأصبح كل فريق يحاول تعضيد موقفه، فيكتب أحاديث من عنده وينسبها إلى رسول الله ﷺ افتراءً وكذبا، ولولا رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه قيدهم الله لمهمة حفظ الحديث وغربلة تلك الافتراءات لكان الأمر قد اختلف.

والجدير بالذكر أن هناك أناسًا لما رأوا ذلك حاولوا صد الناس عن تلك الفرق وزجرهم، فألفوا أحاديث غير صحيحة بقصد حسن، ولم يكونوا يعلموا أن ذلك أمرًا غير مقبول شرعًا وتاريخًا، وأنه وبال على الأمة، فكثرت تلك الأحاديث الباطلة الفاسدة وهي معروفة بذلك. ولكن أعداء الإسلام أخذوها مأخذا

على الإسلام، ونقطة يحالوا بها طعنة ذلك الدين الحنيف، ثم جـاء المؤرخـون فكان همهم الأول هو جمع تلك المادة التاريخية دون تمحيص.

سادسًا: تشويه التاريخ عن طريق الحكام بسـبب عـداءاتهم الشخصـية، فحدثت الافتراءات والأكاذيب، ومن المعلوم أن الناس على دين ملوكهم.

وحقيقة الأمر أنني حاولت التركيز على أساليب وبدايات التزوير في التراث الإسلامي من تاريخ وعلوم شرعية وخلافه في العصر القريب نسبيًّا بداية مـن سقوط الأندلس؛ لأن العدو المباشر حاليًا يتمثل في بعض الكتل السياسية والدينية الموجودة في الغرب، والمؤثرة في سياسة بلادهم بشكل كبير، وهي تختلف من بلد لبلد حسب القوة والضعف، فصببت تركيزي على الجذور التاريخية لأحقـاد ومؤامرات هؤلاء الحاقدون، لمحاولة تشويه صورة الإسلام والمسلمين وحربـه بكل وسيلة، ولتعلم الشعوب الإسلامية أن هذا الأمر ليس وليد اليوم، وأن القضية متشابكة ومترابطة، فالتيارات المنحرفة والجماعات ذات البعد التاريخي الممتـد إلى الوراء، والتي تحمل لواء من دخل الإسلام لضربه، والتـي اسـتطاعت أن تكون جمهورًا من ضعاف النفوس والجهلة والسذج لها اليد الأولى في مسـاعدة من يريد مسخ شخصية التاريخ الإسلامي في عصرنا الحاضر، وذلك عن طريق التراث الأكذوبي الذي خلَّفته تلك الجماعات، وأمور أخرى لا مجال لذكرها في ذلك البحث لتجاوزي أمر تلك الجماعات والفرق لكـي لا أشـعب الموضـوع، والذي حاولت حصره في نقطة واحدة متفرعة كما ذكرت بادئ الأمر، ولأننـي أود إظهار ما يكيد به أعداء الإسلام حاليًا من محاولات لتزوير كل ما يخـص الإسلام والمسلمون.

ومثال ذلك في عصرنا الآيات المزورة والمختلفة التي تصدرت موقعًا على الإنترنت، والتي ادعى فيها أنها من القرآن، وهي لا تمت بصلة إلى كتـاب الله في شيء، وهيهات أن ينالوا ما يرجون ويتمنون؛ لأن الله تكفل بحفـظ كتابـه

الكريم، وصدق الله إذ يقول في محكم كتابه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[٣]. وأخيرًا أرجوا من الله أن يعلمنا ما ينفعنا.. وأن ينفعنا بما علمنا..

طارق حسن بركات مصطفى سري

طارق سري

* * *

* *

*

([3]) الحجر: ٩.

الفصل الأول

الاستشراق... وحركة التزوير..

* عصر الاستعراب.
* الاستيلاء على كتب التراث الإسلامي.
* الدوافع الاستشراقية.
* الجمعيات الاستشراقية.
* الآثار المترتبة على دراسات المستشرقين.

الفصل الأول

عصر الاستعراب وأهم معابر التراث الإسلامي إلى الغرب

كانت الأمة الإسلامية محط أنظار باقي الأمم، فهي تتميز بحركة ثقافية وعلمية يحكمها قوانين أخلاقية، بينما كانت الأمم الأخرى تعج في ظلمات الجهل والفقر وظلم الحكام، ولقد كان لانتقال التراث والفكر الإسلامي إلى أوروبا معابر، وسنتحدث عنها في ذلك الفصل إن شاء الله.

حينما فتح المسلمون الأندلس اهتموا بنقل العلوم الإسلامية والمناهج العلمية، التي نمت في أحضان الدولة الإسلامية إليها، فتميزت الأندلس عن باقي الدول الأوروبية، مما جعل لها شأنًا في دور الوسيط بين الدولة الإسلامية وأوروبا في نقل الفكر والتراث الإسلامي، فلقد أحدث المسلمون في الأندلس ثورة في العلوم المختلفة عن طريق جمع الكتب من المشرق والسفر للتعلم، ثم الرجوع إلى الأندلس لنشر ما تعلموه، واستدعاءهم للعلماء وتوفير سبل الراحة لهم، ومنهم على سبيل المثال أبو على القالي.

ونتج عن تلك الحركة الثورية التي جعلت من الأندلس بلد العلم والعلماء بدلاً من الجهل التي كانت تغط فيه، حيث ظهور علماء أفذاذ أضافوا للعلوم ابتكاراتهم وإبداعاتهم ومنهم على سبيل المثال: ابن حزم، والقرطبي، والشاطبي.

وانتشرت حلقات العلم، وكثرت المناظرات والمكتبات العامة، وأصبح لكل عائلة في الأندلس مكتبة خاصة، وكان ذلك الأمر ضروري لا غنى عنه في بيوتهم، وتباري الأمراء والعلماء وحتى العوام في اقتناء الكتب وشراءها.

وكانت تباع كتب كثير من العلماء بعد وفاتهم، فمثلاً (القاضي أبو مطرف) بيعت كتبه بعد وفاته، وقد استغرق بيعها سنة كاملة، وكانت حصيلة البيع أربعين ألف دينار[٤].

وفي ذلك الجو أقبل النصارى واليهود لينهلوا من العلوم الإسلامية ويتتلمذوا على أيدي علماءهم، واتجه القساوسة والرهبان لتعلم اللغة العربية وترجمة الكتب، ومنهم على سبيل المثال الأب (فيسنتي)، الذي ترجم قوانين الكنيسة إلى العربية وأهداها للأسقف عبد الملك في أبيات شعرية، وترجم يوحنا كبير أساقفة أشبيلية التوراة من اللغة اللاتينية إلى اللغة العربية.

وذلك الأمر أثار في بعض نفوس النصارى الغيرة والحسرة، ومنهم النارو الذي يقول: "إن إخواني المسيحيين يدرسون كتب فقهاء المسلمين وفلاسفتهم لا لتنفيذها، بل لتعلم أسلوب عربي بليغ، وا أسفاه إنني لا أجد اليوم علمانيًّا يقبل قراءة الكتب الدينية أو الإنجيل، بل إن الشباب المسيحي الذين يمتازون بمواهبهم الفائقة أصبحوا لا يعرفون علمًا ولا أدبًا ولا لغة إلا اللغة العربية، وذلك أنهم يقبلون على كتب العرب في فهم وشغف، ويجمعون منها مكتبات ضخمة تكلفهم الأموال الطائلة، في الوقت الذي يحتقرون الكتب المسيحية وينبذونها"[٥].

وتطلعت أوروبا كلها للحضارة الإسلامية، ومن أقدم أداة انتقلت عن طريقها علوم المسلمين شمالي جبال الألب و(جان غورتز Gan Ghortiz)، وقد أرسله أوتو الكبير إلى الخليفة عبد الرحمن الناصر سنة ٩٥٣م، وقد مكث جان في الأندلس مدة ثلاث سنوات تقريبًا تعلم أثناءها اللغة العربية، وعندما رجع إلى ألمانيا جلب معه حمل حصان كتبًا عربية، كما أنه خلال إقامته وقع تحت تأثير بن شربوط اليهودي، الذي تتلمذ على أيدي المسلمين[٦].

---

(٤) الدراسات الاستشراقية في ضوء العقيدة الإسلامية ص٢٦.

(٥) نفس المرجع السابق ص٢٧

(٦) نفس المرجع السابق ص٢٨.

وكذلك (جربرت Gerbert) عبر جبال البرانس مع الأسقف (هاتو) مندوب (الكونت بوريل البرشلوني)، حيث ذهب إلى بلاد المسلمين في الأندلس، فتعلم على أيديهم ما لم يكن يَسْمع به في أوروبا. وفي عام ٩٧١م عاد (جربرت) إلى روما فعينه (أوتو الثالث) معلمًا ومستشار للقيصر، ثم كبيرًا للأساقفة، وفي عام ٩٩٩م ارتقى (جربرت) كرسي البابوية في روما باسم (سلفستروس الثاني)، وقد فاجأ النصارى بالعلم الذي تعلم من المسلمين، حتى نسبوه للسحر ونسجوا حوله للأساطير(٧).

وقد أمر بإنشاء مدرستين عربيتين، الأولى في روما مقر خلافته، والأخرى في رايمس وطنه، ثم أضيف إليها مدرسة شارتر، وقيل: إنه أول من صنع ساعة راقصة، وبثَّ الأعداد العربية في أوروبا، وترجم بعض الكتب العربية إلى اللاتينية(٨).

وتوالت البعثات العلمية من كل أنحاء أوروبا إلى الأندلس، فكانت البعثة الأولى فرنسية ترأسها الأميرة (اليزابيث)، والثانية إنجليزية برئاسة الأميرة (دوبان)، والبعثة الثالثة من مقاطعات مختلفة من الأندلس، وبلغ عدد طلابها سبعمائة من النساء والرجال، وأرسل الملك فيليب بعثة بعد أن سمح له بذلك الخليفة هشام الأموي، وهدف تلك البعثة التعرف على أنظمة وشرائع الدولة الأندلسية، وأرسل الملك الجرماني بعثة يرأسها وزيره (وليم ين) الذي لقب بعد ذلك بوليم الأمين لنقله صورة صادقة لما رآه، وأرسل ملك إنجلترا (جورج الثاني) بعثه برئاسة وزيرة بعد أن شكا للخليفة هشام الثالث الجهل الذي تغط بها بلاده، وهناك الكثير من البعثات العلمية التي تلهث من الحضارة الإسلامية في الأندلس.

---

(7) نفس المرجع السابق ص٢٨.

(8) نفس المرجع السابق ص٢٨- ٢٩، نقلا عن المستشرقون، نجيب العقيقي ٢/ ١١٠ طبعة دار المعارف الطبعة الرابعة القاهرة.

*** طليطلة وأثرها على العالم الأوربي.**

فتحها المسلمون عام ٧١١م وكانت من المدن الكبيرة التي لها شأن ثقافي هام، واستولى عليها النصارى بعد ذلك ثم استعادها المسلمون، واستطاع ألفونسو السادس الذي ساعده المسلمون في إعادة عرشه أن يستولى عليها مرة أخرى خلال الحروب الصليبية على غرب الأمة الإسلامية، وذلك عام ٤٧٨هـ-١٠٨٥م. ولقد كان لهذه المدينة أثر كبير في نقل التراث والفكر الإسلامي إلى الغرب؛ لأنها من المدن الكبيرة التي تفصل بين الحدود الإسلامية في الدولة الأندلسية وبين العالم النصراني، ولوجود المسلمين بها الذين يحملون رسالة نشر الحضارة الإسلامية، فقد كانوا يتقنون العربية واللاتينية، واستغل ألفونسو السادس ومن بعده ذلك في جذب العلماء الفارين من سوء معاملة الولاة المسلمين لهم في الأندلس، ومن إعجاب ألفونسو بالحضارة الإسلامية أنه احتفظ بالكتابة العربية على النقود وظلت على هذا الحال أربعمائة عام.

ولعب القساوسة والرهبان دورًا هامًا في نقل التراث الإسلامي، فكانت عنايتهم بترجمة الكتب الإسلامية المؤلفة في جميع العلوم من أهم عوامل الانتشار، ولم يكتفوا بذلك بل حثوا الطلاب وشجعوهم على دراسة كل ما هو إسلامي، وعلى رأس هؤلاء: المطران ريموند، والشماس ماركوس الذي قام بترجمة القرآن وكثير من كتب التوحيد، وإديلارد أسقف باث الذي تعلم اللغة العربية فيها، وكان للنصارى المستعمرين دور هام أيضًا في نقل التراث الإسلامي، ولم يقتصر الدور على المسلمين والحكام النصارى والقساوسة، بل كان لليهود دور هام عن طريق حركة الترجمة، فلقد كانوا يلعبون دور الوسيط في الترجمة لإتقانهم الأسبانية والعربية وأحيانًا يتقنون أكثر من لغة.

ولم يكتفي اليهود بالترجمة إلى اللاتينية، بل قاموا بترجمة كثير من الكتب الإسلامية إلى العبرية، ثم ترجمة هذه الكتب إلى اللاتينية، ليس في الأندلس فقط بل في كثير من المناطق الأوروبية.

واستغل اليهود دورهم كمترجمين في تزوير الحقائق وتشويه صورة الحضارة الإسلامية أمام أوروبا.

فنجد (بدرودو ألفونسو B. Al – Fonson) اليهودي المنتصر في بداية القرن الثاني عشر يخصص إحدى محاوراته لموضوع الطعن في الإسلام[٩].

واشتهر كثيرون من أوروبا بترجمة التراث الإسلامي ونقله، ومنهم الإيطالي (جيرار الكريموني)، الذي ترجم حوالي ثمانين مؤلفًا، (ودومنجو غنصبالة) (وميخائيل أسكوت) (وخوان بن داود)، (وروجر) (وهيودو سنتالا).

استمرت الحالة الثقافية مزدهرة في طليطلة وبالأخص حركة الاستعراب، إلى أن صدرت الأوامر من ملوك أسبانيا بتنصير جميع المسلمين قسرًا، حتى أصبحوا لا يقدرون أن يعلنوا إسلامهم، وبقى في تلك البلدة مسلمون مكرهون على النصرانية وقلوبهم مطمئنة بالإيمان إلى ما بعد سنة ألف للهجرة[١٠].

وهناك من المدن الأخرى التي لعبت دور نشر الثقافة الإسلامية في أنحاء أوروبا، ومنها مدينة قرطبة التي كان بها الجامعة الوحيدة في أوروبا، والتي تميزت بشهرة غير عادية وكان الأوربيون يذهبون إليها للتعلم منها.

ومدينة أشبيلية التي عرفت باهتمام حكامها بالتراث الإسلامي، وتم إنشاء جامعة بها تسمى جامعة لشبونة العربية ومدرسة تضم اللغتين العربية واللاتينية، واهتم كثير من الناس ومنهم الرهبان بدراسة اللغة العربية.

وكانت لمدينة غرناطة موقعًا متميزًا أيضًا، وظلت مركزًا للإشعاع الثقافي الإسلامي لمدة قرنين بعد أن انحصرت الدولة الإسلامية في تلك المدينة، وفي عام ٨٩٧هـ–١٤٩٢م سقطت المدينة على يد (فرديناند الخامس وإيزابيلا) اللذين أحرقوا الكتب التي تعد بمئات الآلاف.

---

(٩) نفس المرجع السابق ص٣٤، عن فصل الإسلام عن الحضارة الغربية، مونتجمري وات ص٨٥

(١٠) الدراسات الاستشراقية في ضوء العقيدة الإسلامية ص٣٤

وكان لفتوحات المسلمين أثر عظيم في نقل التراث الإسلامي، فلقد استطاع المسلمون أن يدخلوا فرنسا حتى أنهم وصلوا إلى أربونة وبروفانس وفراكسنتيوم.

وقد انطلق المسلمون من هذه القاعدة على المناطق المجاورة، فتوغلوا في منطقة مرسيليا وصعدوا على نهر الرون، وامتدت غزوات المسلمين إلى سافون، وهناك وادي السرازين أي وادي المسلمين يدل على إقامتهم بهذا الإقليم، ولم تسقط فراكسيتيوم إلا عام ٩٧٥م، وحاول المسلمون في أوائل القرن الحادي عشر مواصلة الفتح، فغزيت عين الطيب عام ١٠٠٣م، وفي عام ١٠١٩م هاجم المسلمون مدينة أربونة[١١].

ولما سقطت الدولة الإسلامية في الأندلس (أسبانيا) تعرضوا لحملة شرسة من اضطهاد وخلافه، ووصل الأمر إلى حد طردهم من ديارهم وترحيلهم إلى فرنسا، ووصل عدد المشردين آنذاك مئات الألوف، ولما هدد السلطان العثماني أحمد خان الأول ملكي أسبانيا وفرنسا تم ترحيلهم إلى بلاد المسلمين، وكان لهؤلاء المسلمين أثر كبير في دفع سكان تلك البلاد (خلف جبال البرانس)، التي نفوا إليها لدراسة العلوم الإسلامية، مما دفعهم إلى ترجمة تلك العلوم إلى لغاتهم، وكان العامل الأساسي في ذلك هو احتكاك المسلمين بسكان تلك البلاد، وكان لذلك أثر كبير في حركة الاستشراق.

ولعبت صقلية دورًا هامًا في نقل التراث والفكر الإسلامي، حيث أقام فيها المسلمون حضارة وكانوا فيها أساتذة للإفرنج وعاش فيها الاستشراق وترعرع، وانطلقت منها الحروب الصليبية إلى رقعة أخرى من الدولة الإسلامية، وهذه المناطق هي جزائر البحر الأبيض المتوسط، وبالأخص المقابلة لشبه الجزيرة

---

(١١) نفس المرجع السابق ص٣٧، عن المسلمون في أوروبا في العصور الوسطى، د. إبراهيم على طرخان ص(١٤٦، ١٦٨، ٢٠٠، ٢٧٢)، نشر مؤسسة سجل العرب بإشراف وزارة التعليم العالي بمصر.

الإيطالية، وأهمها جزيرة صقلية، التي حاول المسلمون فتحها من عام ١٢٢هـ عندما نزل حبيب بن أبي عبيده على شواطئها، ولكنه اضطر لتركها بسبب الظروف السياسية في أفريقية، ولم يتمكن المسلمون من فتحها إلا في عام ٢١٢هـ بقيادة العالم أسد بن الفرات رحمه الله[١٢]. واستطاع المسلمون أن يفتحوا عدة بلدان، حتى أنهم كادوا أن يفتحوا روما عاصمة البابوية.

ونجد أن المسلمين قد جالوا في جميع أنحاء سويسرا، بعد أن جعلوا قلعة (فراكسنيتوم) بجنوبي فرنسا قاعدة لهم ليشنوا منها غارات على ما حولها من البلاد والأقاليم، وأضحى المسلمون سادة في منطقة جبال الألب في الحدود بين فرنسا وإيطاليا وسويسراً، واعترف ملك إيطاليا (هيوا) بسيادة المسلمين على هذه المنطقة، حتى أخذوا يتقاضون رسومًا على القوافل المارة عبر ممرات جبال الألب، واستمرت سيطرة المسلمين إلى أن سقطت قلعة (فراكسنيتوم) بيد المتحمسين للروح الصليبية حوالي عام ٩٧٥م[١٣].

ورغم أن حكم المسلمين لبعض المدن في أوروبا وصقلية لم يستمر طويلاً، إلا أنه كان له أثر كبير في الاتجاه الاستشراقي وبعد سقوط دولة المسلمين في هذه المدن، إلا أن الفكر الإسلامي ظل مؤثرًا فيهم فكريًا لأزمان طويلة، ومما سهل ذلك اختلاط المسلمين بهم، الذين عرف عنهم التسامح والأمانة، ووجود فروق علمية وثقافية جعلت المسلمين محط الأنظار وشجعت أبناء تلك البلاد على تعلم ما جهلوه من المسلمين.

---

(12) الدراسات الاستشراقية ص٣٩، نقلاً عن العبر وديوان المبتدأ والخبر لابن خلدون ١٩٩/٤.

(13) الدراسات الاستشراقية ص٤٠، ٤١، انظر المسلمون في أوروبا ص٢١٣، ٢١٨. وفتح صقلية لشوقي أبو خليل دار الفكر - دمشق ١٣٩٩هـ ص٨٧، ٨٩. وتاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط ص٢٩٦، ٢٠٣ للأمير (شكيب أرسلان) طبعة دار الكتب العلمية بيروت.

وبعد انتصار النصارى النورمان على المسلمين وسيطرتهم عليهم لم ينته تأثير المسلمين بل ازداد؛ لأن بعض ملوك النصارى أكرموهم وطلبوا منهم البقاء؛ لأنهم شعروا بضرورة ذلك؛ لأن المسلمين كانوا عماد الحضارة، فمنهم العلماء والأساتذة والأطباء وأصحاب الزراعة والصناعة والمهارات[١٤].

وقد وقَّع معهم (روجار الأول Rojari) اتفاقيات حددت وضعهم وضماناتهم، وفي عهده -أيضًا- انتشر في مختلف أنحاء البلاد مسلمون من أصول عريقة مختلفة من العرب والصقليين والمولدين وإيطاليين[١٥].

ونجد أن الثقافة الإسلامية بأشكالها المختلفة قد أثرت تأثيرًا مباشرًا في سلوك الملوك والهيكل الثقافي للبلاد، فروجار الثاني الذي حكم صقلية يجيد اللغة العربية ويقلد الخلفاء ويستقدم العلماء المسلمين ومنهم الشريف الإدريسي، ورغم أنه كان متسامحًا مع المسلمين إلا أنه نحا نحو الاضطهاد الديني في آخر حياته، ولم يتغير ذلك الوضع إلا بعد مجيء وليم الثاني الذي كان متأثرًا بالحضارة الإسلامية.

ولقد أنشأ روجار الثاني أكاديمية كان يعمل فيها العلماء النصارى واليهودي جنبًا إلى جنب، وأحسوا بالحاجة إلى ترجمة العلوم العربية إلى اللاتينية، فبدأت حركة مناظرة لحركة طليطلة، وإن تأخرت عنها فترة من الزمن، واستمرت تقريبًا من منتصف القرن الحادي عشر إلى آخر القرن الثالث عشر، وهو بداية التأثير العميق للثقافة العربية الإسلامية، ونشوء حركة الاستشراق الفعالة في أوروبا[١٦].

([14]) الدراسات الاستشراقية ص٤٢.

([15]) نفس المرجع ص٤٢، نقلاً عن تاريخ صقلية الإسلامية، دكتور عزيز أحمد، ترجمة دكتور أمين توفيق الطيبي ص٧٩، ط/ ٣٨٩ الدار العربية للكتاب.

([16]) الدراسات الاستشراقية ص٤٣.

ثم تولى الإمبراطور (هنري) الأمور، الذي كان ابنه فردريك متأثرًا بالحضارة الإسلامية إلى حد كبير؛ لذلك عمل على ترجمة التراث الإسلامي ونشره، وكان له أكبر الأثر في الاتجاه الاستشراقي للغرب.

وهو الذي عمل على إنشاء جامعة نابولي وجعل منها أكاديمية لنقل العلوم العربية إلى العالم الغربي، وكان شديد الإعجاب بالعرب ومؤلفاتهم، وللعقيدة الإسلامية تأثير على أفكاره، مما أدى به إلى بغض كثير من العقائد النصرانية، مما جعل الكنيسة تتهمه في دينه، وخصوصًا بعد توانيه عن تجريد حملات صليبية ضد المسلمين، ودخل في منازعات مع البابا حتى حرم من الكنيسة مرتين، وبالرغم من اهتمامه بالحضارة الإسلامية إلا أنه اتخذ إجراءات عسكرية ضد المسلمين في مملكته بسبب ثورتهم ضده فيما بين سنتين ١٢٢٢- ١٢٢٤م، حتى هزمهم وأجلى بعضهم من صقلية، وأكثر الجزر إلى ايطاليا في شبه جزيرة (فلورية)، وأقام لهم مستعمرات في (لوشبرة) و(نصيرة) و(جيروفالكو)[١٧].

ومن خلال ما سبق يتبين لنا أن الاستشراق نشأ أولاً لتأثر الغرب بالمسلمين وحضارتهم، ثم عمل الحاقدون على تشويه صورة المسلمين، وعلى أن للمسلمين فضلاً على الغرب في نهضتهم، وحاولوا التزوير في التراث الإسلامي لأهداف عقائدية وسياسية، ولفك عقدتهم بالنقص أمام الحضارة الإسلامية.

وجد الغرب أن الإسلام قد جذب إليه أناس كثيرون من الملل الأخرى، سواء النصرانية أو اليهودية أو المجوسية وامتدت حدوده غربًا وشرقًا، وأن جيوشه وصلت إلى قلب العالم النصراني، وناهيك عن تراثه الفكري والعلمي الذي أثر في شعوبهم وحكامهم؛ لذا اتفق الملوك والأساقفة على حرب الإسلام بكل الطرق الممكنة ليوقفوا مده وزحفه وانتشاره؛ لذا كان هناك طريقان سارا فيه وهما: الحرب بالسلاح، والتشويه والتزوير لحقائقه وتراثه الفكري.

([17]) نفس المرجع السابق ص٤٥.

وأول انتصار لهم كان بإسقاط طليطلة، وتوالت حروبهم في كل مدن الأندلس والجزر الواقعة تحت سيطرة المسلمين في إيطاليا والبحر الأبيض المتوسط.

وأخذت الدولة الإسلامية في الضعف حتى تعرضوا للحملات التتارية والمغولية التي أضعفت من الأمة شأنها، وسعى الصليبيون للتعاون معهم حتى يتمكنوا من إسقاط الدولة الإسلامية نهائيًّا.

ولم يقنع الحاقدون على الإسلام بحربه بالسلاح فقط، بل بدأوا حربهم في تشويهه وتزوير حقائقه وتلفيق التهم له، فلما وصلوا إلى بلاد المسلمين واحتلوا أكثر الشريط الساحلي من بلاد الشام واستقروا في تلك البلاد وعايشوا أهلها بعدما قتلوا وشردوا، أصيبوا بخيبة أمل وتبين لهم أن عقيدتهم هي التي تحتاج إلى التعديل والتنقيح والمراجعة، وهذا ما أُطلق عليه فيما بعد بحركة الإصلاح الديني، مما تطلب دراسات في العبرية والعربية.

وإن كان بعض الكُتَّاب يرى أن التأثير الفعلي هو بالاتصال في الأندلس والبحر الأبيض المتوسط؛ لعدم وجود حالة الاستقرار الدائم في الشام لكثرة الحملات الصليبية والمعارك الدامية بينهم وبين المسلمين، ولكننا نجد في الحقيقة أنه إذا لم تُتح للصليبيين فرصة الاستقرار المتكاملة، إلا أنه وجدت لهم فرص كثيرة للنشاط الفكري والحضاري لعدد كثير منهم؛ إذ كانت أوقات السلم أطول كثيرا من أوقات الحرب، وقد اختلط بعضهم ببعض الوطنيين وتزاوجوا، مع أن النصارى الأرمن -وهذا بلا شك- لهم دور في الاستعراب، وكانوا يستعملونهم أيضا في كثير من الوظائف، بل إن (بلدوين) يستخدم فئة منهم في الوظائف العالية، ومنهم (أبو الغريب) الذي جعله حاكما على البيرة[١٠].

([١٨]) الدراسات الاستشراقية ص٤٩، ٥٠، نقلا عن تاريخ الحروب الصليبية (ستيفان رنسيان) ترجمة السيد الباز العريني ١/٣٦٩، الطبعة الثانية ١٩٨١ دار الثقافة بيروت.

وكان للأسرى المسلمين والمسيحيين أثر في نقل التراث والفكر الإسلامي، فالأسرى المسلمين يؤثرون فيمن حولهم من النصارى، والأسرى المسيحيين يتأثرون من المسلمين مما ساعد في اهتمام الغرب بدراسة العلوم الإسلامية بكل جوانبها الأخلاقية والأدبية والاجتماعية والعلمية، وكان هناك دور أيضًا لضعاف النفوس الذين تنصروا منهم أحمد بن مروان الذي استسلم لهم ودخل هو وأتباعه في النصرانية.

وخلاصة القول: إن الاحتكاك بصوره المختلفة كان له أثر كبير في اتجاه الغرب للدراسات الاستشراقية، وجمع الكتب والمعلومات خلال حملاتهم أثر تأثيرًا كبيرًا، حتى أن لويس التاسع طلب من أحد ولاة المسلمين المهتمين بالكتب نسخ ما عنده من كتب وذلك على نفقته الخاصة.

* * *

الاستيلاء على كتب التراث الإسلامي

فطن العالم الأوروبي إلى أهمية الكتب، وأنها تحمل في طياتها حضارة أمة أنارت ظلمات العالم بإشعاعاتها الخلقية والثقافية والعلمية، بينما كان الغرب يغط في ظلمات الجهل؛ لذا نجدهم قد سلكوا كل الطرق الممكنة والغير ممكنة للحصول على الكتب، فتارة يشترونها وتارة يسرقونها وتارة أخرى يأخذونها عنوة.

يقول المستشرق (كراتسكو فسكي Kratisk Viski): "يتاح للمستعرب القيام باكتشافات كثيرة، ولعله يلقى منها على طريقه أكثر مما يلقى الباحثون في المجالات العلمية الأخرى، التي هي أعمق تنقيبًا وتستدعي عدد أكبر من البحاثة، ولا داعي للتفكير في أن هذه الاكتشافات لا ترتبط إلا بالمخطوطات.

فبقدر ما نقترب من أيامنا هذه، تلعب الكتب مثل الدور الذي تلعبه المخطوطات، ففي بطون الكتب -أيضًا- يمكن للمرء أن يتوصل اكتشافًا علمي، فأحرى أن يقال: هذا فيما يتعلق بالخطابات والمراسلات التي تسنى لها اختزان مشاهدات قيمة معاصرة، ولكن المرء يستطيع أحيانًا السيطرة على نفسه لا سيما حين يكون عليه أن يبقى في مجال كلاً من الأدب القديم والأدب الحديث، الذي لا يمكن للمرء إغفاله الآن، حابسًا نفسه في إطار الأنانية العلمية لمستعرب كلاسيكي.

ففي مجال الأدب الحديث تمنح الحياة نفسها اكتشافات عديدة وسعادة كبيرة لمن يستطيع أن يلمح بعينه هذا الأدب في مهده، ولكن المقادير لم تهيئ هذه الفرصة، فأنا لم أزر الشرق إلا مرة واحدة، وبالطبع كانت مهمتي في الرحلة الأولى تقتصر على التعرف الأولي، وكان ينبغي أن تتبعها رحلات أخرى حقيقية مرسومة منظمة لكن هذا لم يحدث، وكثيرًا ما حزنت على ذلك في الفترات الأولى بحكم تفكير الشباب. إلا أن الحياة علمتني أن التعرف الجيد على

إنسان لا يقتضي حتمًا الاتصال به اتصالاً مباشرًا، فالكتب والخطابات والصور تكشف عنه إلى درجة كبيرة، بل وتكون أحيانًا أحسن تخيرًا من المعاشرة الشخصية، ومع أنني لم أتمكن من دراسة الأدب المعاصر إلا من بعيد، فأنني مع هذا قد توصلت إلى كثير من الاكتشافات في هذا المجال. وقد اعترف بهذا زملائي من المستعمرين الغربيين الذين سافروا كثيرًا إلى البلاد العربية، وكنت أشعر أحيانًا بالأسف لعدم تمكني من السفر مثلهم"[١٩].

كان البابا (نيقولا الثاني) مهتمًا بجمع الكتب وعلى رأسها الكتب الإسلامية، حتى أنه بعث رجاله لجمع الكتب من كل مكان في الشرق، ولم يكن بابا الثاني فقط بل كانت أوروبا كلها تحاول جاهدة بشتى الطرق جمع تلك الكتب، ولقد رجع (جان غرورتر) من الأندلس وهو يحمل حمل حصان من الكتب الإسلامية.

وكانت الحركة الغربية في اقتناء الكتب الإسلامية بشقيها العلمي والنظري حركة هامة ومؤثرة في تاريخ أوروبا، ووصل الأمر في اقتناء الكتب إلى حد كبير.

فنجد أن المستشرق (ويد ماترنز) قد باع ما جمعه من مخطوطات وكتب وصلت إحدى عشر مجلدًا لدوق بروسيا عام ١٥٥٨م، (وويلهم بوستل) الذي جعلته الضائقة المالية يفرط فيما جمعه من كتب ومخطوطات وبيعها إلى مكتبة هايرلبرج، التي أصحبت تلك المخطوطات نواة أصلية في دراسة المستشرقين في ألمانيا، وأوصى (يوركهارت) بما جمعه من مخطوطات وصلت ثمانمائة مخطوطة لجامعة كامبردج، واشترت مكتبة برلين من البروفسور (هايزش بترمان) حوالي ألف مخطوطة ويزيد، وجلب القنصل (البروس) في دمشق لتلك المكتبة ألفان ومائة مخطوطة.

---

(١٩) الدراسات الاستشراقية ص٦٦، ٦٧، عن "مع المخطوطات العربية" - كراتشوفسكي ص٦١، ٦٢.

وترك المستشرق لمكتبة برلين ألف ومائة مجلد، ويزيدها (إدوارد غلارز) بمائتين وأربعين مخطوطة من الجزيرة العربية، واشترت المكتبة حوالي ألـف مجلد ويزيد من إحدى الشركات في هولندا تسمى لايدن، حتى بلغت المخطوطات والكتب الموجودة بها ٦٤٥٠ مخطوطة ومجلد، ويبيع (رسو) الذي كانت عائلته تقطن الشام المخطوطات والكتب التي اقتناها هـو وعائلتـه للمجمـع العلمـي الآسيوي. وفي مكتبة لايدن توجد العديد من المخطوطات، ومنهـا مخطوطـة أحضرها معه (يعقوب جوليوس) أثناء زيارته لتركيا وسوريا وقام واثز بجمع ألف مخطوطة للمكتبة. والمجمع العلمي في روما لديه العديد من الكتب والمخطوطات الإسلامية، التي حصل عليها المجمع بطرق عدة، ومنها الإهداءات من المهتمين بدراسة الشرق عامة والمسلمين خاصة من الإيطالية، وأهدى (جولـد زيهـر) مكتبة للجامعة الإسرائيلية في القدس.

واستغل الغرب المجاعة التي حدثت في القرن الثالث عشر الهجري، فعملوا على شراء الكتب والمخطوطات بأسعار زهيدة من المحتاجين للمال، حتى أنهـم كانوا يحملونه سفناً بأكملها مليئة بتلك المخطوطات والكتب، وأصبح هناك أسواق في أوروبا متخصصة في بيع المخطوطات والكتب العربية، وأرسل ملك فرنسا رسلاً إلى البلاد الإسلامية مثل مصر والشام لشراء الكتب والمخطوطات.

لذلك توفر في مكتبة باريس التي أسست عام ١٦٥٤م عدد كبير من الكتب الإسلامية والمخطوطات، التي بلغ مجموعها سبعة آلاف مخطوط عربي، وقـد تكونت هذه المكتبة على أيدي المستشرقين الذين أوفدهم الوزير (كولير Colier) إلى الشرق، وما أرسله نابليون من حملته على مصر، وما ابتاعه قنصل فرنسا بالقاهرة، ومما يوجد في هذه المكتبة قطع من القرآن على الرق من القرن الثاني والثالث والرابع لهجرة[٢٠].

([20]) الدراسات الاستشراقية ص٧١، عن تحقيق التراث العربي ومنهجه وتطوره ص١٩٠

ومن الكتب التي استولى عليها النصارى قسرًا مكتبة السلطان المغربي (زيدان الحسني)؛ إذ أن زيدان لظروف ألمت به اضطرّ أن يغادر عاصمته مراكش ومعه أمواله وذخائره ومكتبته النفسية، وشحنت في بعض السفن لنقلها إلى مكان آخر، ففاجأتها بعض سفن الأسطول الأسباني التي كانت تجوس خلال المياه المغربية مقربة من الشاطئ بين أسفي وأغادير، واستولت عليها وحملتها غنيمة إلى المكتبة الملكية الأسبانية بقصر الأسكوريال وذلك في سنة ١٠٢١هـ ١٦١٢م، وقد حاول الملوك المغاربة استرجاعها ولكن من دون نتيجة، وما تزال تلك الكتب النادرة والنفيسة بمكتبة الأسكوريال بأسبانيا[٢١].

ولما بدأ الغرب في استعمار العالم الإسلامي والاستيلاء على ممتلكاته في القرن الثامن عشر وكثرت رحلات الغربيين، بدأ عدد من علمائهم ينبغون في الاستشراق ويصدرون لذلك المجلات في جميع الممالك الغربية، ويغيرون على المخطوطات العربية في البلاد الإسلامية إغارة أشد من ذي قبل، فيشترونها من أصحابها الجهلة أو يسرقونها من المكتبات العامة التي كانت في غاية الفوضى وينقلونها إلى بلادهم ومكتباتهم، وإذا بأعداد هائلة من نوادر المخطوطات العربية تنتقل إلى مكتبات أوروبا، وقد بلغت في أوائل القرن التاسع عشر مائتين وخمسين ألف مجلد، وما زال هذا العدد يتزايد حتى اليوم[٢٢].

* * *

[21] الدراسات الاستشراقية ص٧٠، عن فهرست الخزان الملكية بالمغرب ص٤، ٥.

[22] الاستشراق والمستشرقون.. مالهم وما عليهم، للسباعي ص١٤، ١٥.

الدوافع الاستشراقية

الدافع الديني:

عندما جاء الإسلام وجد العالم بأسره في أزمة فكرية حادة، وقلق روحي بالغ، فأخرج الناس من الظلمات إلى النور ومن الباطل إلى الحق، ومن التعصب إلى التسامح، ومن الهدم إلى البناء، فبنى في قرن ما لم يستطِع غيره بناءه في قرون، فبدأ الناس يتوافدون إلى مراكزه ومعاهده ليتعلموا فيها.

وكانت اللغة العربية لغة العلم والثقافة والسبيل الوحيد للنهوض والازدهار، وغدت أقوم طريق لفهم الكتب المقدسة وفلسفتها، فتسابق أصحاب الديانات الأخرى إلى تعلمها وتعليمها لمواطنيهم، فكان هذا الدافع الديني دافعًا قويًّا لانتشار الإسلام في العالم وظهور الاستشراق، فأنشأت دول الغرب معاهد ومدارس ومراكز لتعليم لغات الشرق وأديانه(٢٣).

ولقد فزع الغرب من اعتناق الكثيرين للإسلام، ووجدوا أنه ينتشر بصورة كبيرة لسماحته وصحة عقائده، فما كان منهم إلا أن حاولوا دراسة عقائده وتاريخ الشعوب الإسلامية لعدة أمور أهمها ثلاث نقاط:

١- تشويه صورة الإسلام أمام الغرب؛ حتى لا يعتنقه أحد من بني جلدتهم، وتشكيك عوام المسلمين وأنصاف المثقفين، ووضع علماء الإسلام في موقف الدفاع دائمًا؛ حتى لا يَنْشغلوا بنقد كتابهم وعقائدهم المحرفة والباطلة.

٢- دراسة الشعوب الإسلامية اجتماعيًا وتاريخيًّا واقتصاديًّا؛ حتى يستطيع الاستعماريون فهم طبيعة تلك الشعوب جغرافيًّا وتاريخيًّا واجتماعيًّا وخلافه من الجوانب الأخرى، ويستطيع المُنْصِرون معرفة وفهم تلك الشعوب الإسلامية.

---

(٢٣) العلاقة بين التنصير والاستشراق من حيث النشأة والأهداف ص٦٦، ٦٧، عن فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر. أحمد سمايلوفتش ص٤٨.

يقول هوفان إستنجل: "إننا يجب أن نكسب وجهات نظر جديدة لعقائدنا المسيحية بناء على فهمنا العميق للتعاليم الإسلامية، وفهمنا لنفسية المسلم المتدين، وذلك حتى نتجنب نقاط الضعف فيما يستخدمه من أدلة حتى اليوم، وحتى نبني من جديد دفاعًا جديدًا عن العقيدة المسيحية، دفاعًا يضع في حسابه روح الإسلام والتطور الفكري للمسلمين فيما يتعلق بعقائدهم خلال ما يزيد على ألف عام، وقد جرى هذا الاتجاه في ظل الخطة التي عمل الاستشراق لها منذ وقت بعيد، وهي أن يضع لكل مسألة أو قضية أو معضلة إجابة مستمدة من محاولته المعتمدة لتغير مجرى الفكر الإسلامي وإخراجه من هدفه الحقيقي وغايته الأساسية"[٢٤].

ومن هنا نعرف أنهم كانوا يستغلون نقاط الضعف الاجتماعية من فقر وخلافه، ومعرفة التاريخ لتفسيره تفسيرًا يناسب هو أهم، ويستخدمون في ذلك تزوير حقائقه بأساليب شتى؛ لذلك كان المستشرقون يعقدون مؤتمرات ليتلاقوا ويتدارسوا ما توصلوا إليه، ويقومون ببعض التوصيات ليتوحد جهودهم ويستطيعوا نشر الديانة النصرانية ونشر ثقافتها.

وانقسمت الدراسات الاستشراقية إلى مدارس مطابقة لأغراض ودوافع ممولیها، والقائمين عليها وتتقسم مدارسهم إلى ما يلي[٢٥]:

المدرسة النصرانية ولها **نزعتان**: الكاثوليكية والبروتستانتية. والمدرسة اليهودية. والمدرسة الإلحادية العامة. ثم المدرسة الإلحادية الشيوعية[٢٦].

---

[24] مناهج المستشرقين في ضوء العقيدة الإسلامية ص٨١، عن مقدمات العلوم والمناهج أنور الجندي ٥/ ٤١، التبشير والاستشراق والدعوات الهدامة، دار الأنصار.

[25] العلاقة بين التنصير والاستشراق ص٦٧.

[26] نفس المرجع السابق ص٦٧، عن الاستشراق.. نشأته.. وأهدافه، حسن ضياء الدين عز ص٢٨، مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية جامعة أم القرى بمكة المكرمة عام ١٤٠٠- ١٤٠١.

وتطرفت دراسات كثيرة للجوانب الدينية في أنحاء العالم كله، وكان نصيب الأسد فيها للنصرانية. وبتتبع الأهداف الدينية تبين أن معظمها تتعلق بـديانتهم النصرانية، وقلة تلك التي تتعلق بالديانات الأخرى[٢٧].

يقول المستشرق سنوك هورخروني: "وبالتدريج توصلنا إلى اليقين بأن دراسة اللغات والحضارات والتاريخ السياسي والأدبي ضرورية، وكذلك دراسة المؤسسات الاجتماعية والدينية لكل الشعوب الشرقية الأخرى، التي لم نهتم بها حتى الآن إلا للمصالح التجارية العلمية، أو بدرجة أعمق، من أجل المصلحة التنصيرية[٢٨].

فكان علماء الكنيسة أول من درس اللغة العربية، ومِنْ ثَمَّ العقيدة الإسلامية للوقوف على عقائد المسلمين ولم يكن هدفهم من ذلك، كما يقول[٢٩] (يوهان فيوك Y. Fuick): علميًّا محضًا بل إنهم أرادوا الرد على الإسلام والتبشير بين المسلمين ودعوتهم إلى المسيحية عن طريق تراجم عربية للإنجيل[٣٠].

ونرى أن القرآن الكريم من أوائل الكتب التي ترجمت إلى اللغة اللاتينية، وذلك بتوجيه من الأب بطرس المحترم رئيس دير أكلوني عام ١١٤٣م[٣١]، ونجد أن المطبعة العربية إنما أُنْشِئت أول الأمر من أجل هذه الغاية، فتَذْكر المصادر التاريخية أن المطبعة العربية ظهرت في أوائل القرن السادس عشر

([27]) مؤتمرات المستشرقين العالمية.. نشأتها.. تكوينها.. أهدافها ص٨٤.

([28]) نفس المرجع السابق ص٨٥.

Hurgronje.Snoucke. Allocation Acte-DuxviiiemeCongres Internationaldes Orietalistes Lwiden 1931 P.21

([29]) الدراسات الاستشراقية في ضوء العقيدة الإسلامية ص٧٧.

([30]) نفس المرجع السابق ص٧٧، عن المستشرقون الألمان، جمعها صلاح الدين المنجد. مقال (يوهان فوك) ص١٥.. بتصرف.

([31]) الدراسات الاستشراقية في ضوء العقيدة الإسلامية ص٧٧، ٧٨، عن الدراسات العربية في الجامعات الألمانية ص٩.

في أوروبا، وأول مطبعة عربية ظهرت في (فانوا) بإيطاليا بأمر البابا بولس الثاني في سنة ١٥١٤م، وأول كتاب طبع فيها في تلك السنة صلاة الراعي، ثم سفر الزبور سنة ١٥١٦م.

ثم مطبعة البندقية وفيها طبع القرآن الكريم للمرة الأولى، ثم طبعت أول ترجمة إيطالية للقرآن سنة ١٥٤٧م، وفي مطبعة روما سنة ١٥٩٣م طبع قانون ابن سينا في الطب ومعه المنطق والطبيعيات وكتاب النحاة، ثم تعددت المطابع العربية في أوروبا وطبع مئات من الكتب العربية والشرقية، فنلاحظ أن الكتب الدنيوية أو ما تسمى بالعلمية كانت في المرتبة الثانية، أما كتب العقائد ففي المرتبة الأولى في الطبع(٣٢).

ويتضح لنا أمر الدراسة ليس للتوصل للحقيقة، وإنما لمحاولة التشويش والتعمية على بني جلدتهم من الغرب بإبرازهم العقائد الإسلامية في صورة غير صورته، ولنشر النصرانية ليس في الشرق فقط بل خارج حدود الشرق أيضًا.

ويتحدث (دو بوسكي De Bousquet) عن مدى إمكان نشر النصرانية، عند حديثه عن اليابان، خلال المؤتمر الأول بباريس سنة ١٨٧٣م - ١٢٩٠هـ، يرى أن الشعب الياباني مؤهل اجتماعيًّا لكي يتقبل الديانة النصرانية بشقيها، حسب تعبير المستشرق؛ إذ أنه يرى أن تركيبة المجتمع تسمح بذلك، وبالتالي وجب على الغرب الاهتمام بهذا الأمر، وإرسال بعثات متخصصة لتحقيق هذه الغاية فقال(٣٣): "لقد أجمعوا تقريبًا على الاعتراف بأنه يجب أولاً الاهتمام بمعرفة هذه الأديان التي اعتنقوها، ويصل الأمر ببعض الأعضاء إلى الاقتراح بتسمية كهنة كاثوليك وقساوسة بروتستانت في المجموعة"(٣٤).

---

(32) الدراسات الاستشراقية في ضوء العقيدة الإسلامية ص٧٧، ٧٨.

(33) مؤتمرات المستشرقين ص٨٥.

(34) مؤتمرات المستشرقين ص٨٥

De Bousquet (Discours) congres International des orientalistes compte renduede la premiere session – paris – 1873 Tome premier p 149- 150

ويقول (لانجنهوف): "يجب التعجل والإسراع، فإن كل عام يمر تحقق بعثات السلطان المحمدي نجاحات مهمة لديانة القرآن، وعلى مدى طويل سيخضع (الداياك) للجهود المتواصلة لأتباع النبي ﷺ، وأن أي بعثة كاثوليكية بين (الداياك) يجب أن تكون مقبولة من قبل الحكومة الهولندية، أما الداياك الذين تحولوا إلى المحمدية، فقد أصبحوا وسائل عمياء ومتعصبة في أيدي المحمديين، وفقراء الداياك هم أغلب المتحولين، أما الداياك الذين سيتحولون إلى النصرانية فسيكونون وزنًا مضادًا لحماس السلاطين، ويزيلون مفعول أثرهم وصخبهم المضر"[٣٥].

إذن، فهذا المستشرق يكشف إمكان تحول الداياك، وربما أجمعهم إلى الإسلام وقابليتهم ذلك، وحسب رأيه أن إسلامهم ليس عن قناعة، بل للحاجة وللطمع والإغراء، وبما أن الكنيسة خبيرة جدًا في استخدام هذا الأسلوب، فما عليها إلا أن تجرد سلاحها لمقاومة المتعصبين المسلمين حسب رأيه[٣٦].

ومن جهة أخرى يحاول المستشرقون إضعاف المؤسسات الدينية داخل العالم الإسلامي، فهذا (جريمال) يحث المؤتمرين على تبني نظام يستخدمه المنصرون، سيكون أفضل أسلوب للتوصل إلى تحطيم، أو على الأقل إضعاف التأثير السياسي والديني للزوايا التي لا يحتاج مريدوها للركض وراء حاجيات أتباعهم إلا نادرًا[٣٧].

---

[35] مؤتمرات المستشرقين ص٨٨

Langenhoff, Labbe (Discours) Congres International Des Orientalistes – Gompterendue De La Prelniere Session – Faris – 1873 – Tome Premiere – P.530 – 531.

[36] نفس المرجع السابق ص٨٨.

[37] نفس المرجع السابق ص٨٨

Guiraudon, The Grimal de. No tedes
Linguistiques – Les Pals – Verhandungen Des VII Internaticna Len Orientalhssten – Kongress.Gehalten In Wien Im Jahre – Isso – Vol2 – T2 – P.89.

كلام (جريمال) هذا كان سنة ١٨٨٦م - ١٣٠٤هـ، حيث كانت الزوايا تعيش على الأوقاف والأحباس والتبرعات الخيرية، فما كان يحتاج المدرس والطالب هذه الراحة النفسية والمعيشية، كانت أساسًا من أسس انتشار الثقافة والعلوم الدينية؛ لأنه لا أحد يملك لقمة عيش غيره فيربطه بمصالحه الخاصة، ثم ما لبثت الأوقاف أو معظمها أن حلت وسمح بامتلاكها، فعجز الطلاب عن الوفاء بمتطلبات الدراسة، فضعفت الزوايا وقل مريدوها واندثر معظمها.

ولعل السبب في ذلك عمل المستشرقين الطويل قصد إزالة الأوقاف، الأمر الذي أدى إلى فراغات دينية واسعة الانتشار، وهذا أمر يهدف له المستشرقون والمنصرون والسياسيون الغربيون منذ زمن طويل، وما دام هناك فراغ فقد جاء دور الثقافة التنصيرية كي تملأه، ولعل هذا ما دعا له (جريمال) من إذ ذاك وكذلك من شايعه، فهذا الأمر قصد الوقوف تجاه الزوايا الكثيرة والوفيرة، والتي كانت تمثل معين نشر الثقافة الإسلامية في مواطن عدة ولا سيما في إفريقيا، وهذا أمر فيه مزاحمة لانتشار الثقافة النصرانية وإعاقة توسعها[٣٨].

ويحاول المستشرقون إظهار الشعوب النصرانية المجاورة للشعوب الإسلامية بمظهر الشعوب المظلومة والمجاهدة ضد المحمديون، كما يطلقون على الأمة الإسلامية، وفي مؤتمراتهم يبحثون عن مخرج حضاري لتلك الشعوب من أجل إظهارهم بمظهر المؤثرين والمأخوذ عنهم لا العكس، وذلك بحكم أن الجوار يلعب دورًا هامًا في التأثير المتبادل بين الطرفين، وللطرف الأقوى ثقافيًّا فضل التأثير على الآخر.

ولنأخذ مثالاً فالمستشرق (دسوف) يتحدث عن الأرمن فيقول: "هذا الشعب الذي كانت له على مدى تاريخه اتصالات مع كل الشعوب المهمة في آسيا الوسطى على مدى أكثر من أربعين قرنا، والذي بقي إلى يومنا هذا طليعة

([38]) مؤتمرات المستشرقين ص٨٨، ٨٩.

المدافعين عن الكنيسة في آسيا، وواسطة الثقافة الأوروبية بعد أن لعب دورًا، إن لم يكن مهمًا فهو لا يخلو على الأقل من أهمية علـــى مـــدار تـــاريخ أحـــداث الشرق"(٣٩).

يحاول المستشرق اختلاق تاريخ لأرمينيا يرجع إلى أربعين قرنًـــا، وهـــذا كلام ليس له أي سند تاريخي.

ويتحدث أيضًا عن أدب الأرمن فيقول: "مع أن أنقاض الآثار القديمة لهـــذا الأدب، والتي حافظت على نفسها من عامل الزمن والأيادي البربريـــة لغـــزاة أرمينيا، لا تزال غير مقروءة منذ عشرات القرون، ورغم ذلك فإن البعض من هذه الأعمال التي نشرها، والتي صارت بذلك سهلة المنال للعلماء الأوروبيـــين، قد جعلت للأدب الأرميني القديم مكانة مرموقة بين الأدبيات الأخرى، ولا سيما الموضوعات التاريخية واللاهوتية"(٤٠).

فإن الكاتب جعل للأرمن أدبًا موغلاً في القدم يعود لعشرات القرون، لكنـــه يستدرك بأنه معظم هذا الأدب يعود للحقبة النصرانية، وكلمة "معظم" لفظ موهم في الكمية ويفيد الأغلبية والكثرة ويدل على مقدار معين ودقيق، لكـــن الحقبـــة النصرانية حديثه نسبيًّا؛ إذ تتجاوز قرونًا معدودة، ومع ذلك يتحدث بإصرار على عراقة هذا الأدب فيجعل له مكانة مرموقة.

إذن عند حديثه عن هذا الشعب النصراني، يصر الكاتـــب علـــى أن لهـــذا الشعب أصولاً وعراقة وحضارة، لكنه لما يصطدم بالواقع التـــاريخي، يســـعى للتخلص منه بطرق فنية أخرى يتخلص بها من تلك العوائق(٤١).

---

(39) نفس المرجع السابق ص٨٩.

D,Essoff, G. Appercu De I,etude De La Langue armenienne en Europe Actes Du Huitieme Congres In Ternational Des Orientalistes – Stokho Im et Gristiania – 1889 – Troisieme Partie – P.75

(40) مؤتمرات المستشرقين ص٩٠. Ibid. PP. 75 76

(41) مؤتمرات المستشرقين ص٩٠.

ويحاول المستشرقون التحدث عن الشعوب النصرانية التي صمدت ضد المحمديون، كما يدعون فيقول (ألكساندا شاكانوف) عن جورجيا: "دافعت إيبيريا القديمة على مدى أربعة عشر قرنًا عن النصرانية وثقافتها ضد الغزوات الدموية التي يشنها الكفرة والمحمديون، وأضحى الصليب الأرثوذكسي شيئًا فشيئًا الرمز القومي لوطن الجورجيين، وأصبحت نصرة النصرانية هدفهم على مدى الحياة"[٤٢].

ويقول: "أما بعد سقوط القسطنطينية، في ١٤٥٣م – ٨٥٧هـ، فقد بقيت جورجيا طوال خمسين وثلاثمائة سنة الدولة النصرانية الوحيدة وسط آسيا المسلمة أمضى هذا الشعب حياته بين الصلاة والمعارك التي يشنها ضد الإسلام، إنه لم يضع أسلحته طوال أكثر من ألف سنة ولو لم يكن الصليب يوشح رداءه، لكان نقشه في قلبه نقشًا عميقًا"[٤٣].

ويحاول المستشرق التمجيد من جورجيا التي صمدت أمام المسلمين والتي حاربتهم، فقد كانت الكنيسة هي ملجأ الجورجيين وهي التي حافظت على النصرانية من الشعوب الإسلامية المجاورة.

ولقد ظلت الكنيسة ملجأ أمينًا أمام أعين الجورجيين خلال كل تقلبات الدهر التي ألمت بجورجيا، فقد حافظت على جذوة مشاعر حقدهم القومي ملتهبة في قلوبهم تجاه النفوذ الإسلامي القوي؛ لهذا السبب فهي تلعب دورًا معتبرًا في حياة الشعب الجورجي[٤٤].

---

(42) مؤتمرات المستشرقين ص٩١.

Chacanow, Alexandre Lesin Flucnces Etrangere Surla Civilisationdela Georgie, Actesdu Dixieme Congres International Des Orientulistes – Goneve – 1894 – Quatrieme Partie – Section Vii – P.66.

(43) مؤتمرات المستشرقين ص٩١.

Ibid. P.66.

(44) مؤتمرات المستشرقين ص٩١.

Ibid. P. 71.

وكان تحول أعداد كثيرة من النصارى إلى الإسلام دافعًا قويًا لحقد كثير من الرهبان وملوك الشعوب النصرانية، مما حملهم على قيادة حركة لدراسة اللغة العربية وترجمة التراث الإسلامي بقصد تشويهه وحجب محاسنه عن الجماهير المسيحية الخاضعة لنفوذهم، ومن أجل ذلك أُنْشِئ أول مركز لدراسة اللغة العربية في الفاتيكان، كما أمر بإدخال اللغة العربية واللغات الشرقية الأخرى في مدارس الأديرة والكاتدرائيات، وعمل أيضًا على إنشاء كراسي لهذه اللغات في جامعات فرنسا وإيطاليا وغيرها[٤٥].

ويقول فريد وجدي: "لا بد من الحيطة والحذر في النظر إلى البحوث الاستشراقية، ومما لا شك فيه أن بعض الغربيين المشتغلين بالدراسات الإسلامية لم يعنِ بدراسة مبادئ الإسلام وعلومه؛ إلا ليكون ذلك وسيلة لأن ينتقده وطمعًا في استطاعته بهذه الوسيلة أن يرد شيئًا من مبادئه". ويرى أيضًا أن بعض الذين كتبوا بإنصاف عن الإسلام ردتهم الكنيسة، ومن هؤلاء (ريلاند) الذي يقول: "إن الواجب علينا أن نبحث عن الإسلام ونكشف عن خفاياه"[٤٦].

ويقول أحد الباحثين: "كان الباعث الديني للاستشراق في بداية الأمر عرقلة تيار التحول من المسيحية إلى الإسلام، ثم تطور هذا الباعث فيما بعد إلى محاولة تشكيك المسلمين أنفسهم في عقيدتهم بزعزعة المثل العليا للإسلام في نفوس أبنائه من ناحية، وإثبات تفوق الحضارة الغربية وعظمتها من ناحية أخرى"[٤٧].

([45]) الدراسات الاستشراقية في ضوء العقيدة الإسلامية ص٨١، ٨٢، عن أضواء على الاستشراق، محمد عبد الفتاح عليان ص٤٣، دار البحوث العلمية- الكويت طبعة أولى ١٤٠٠هـ.

([46]) الدراسات الاستشراقية في ضوء العقيدة الإسلامية ص٨٢، عن مقدمات في العلوم والمناهج ١/ ٢٢٥.

([47]) الدراسات الاستشراقية في ضوء العقيدة الإسلامية ص٨٢، ٨٣، عن أضواء على الاستشراق، د/ محمد عبد الفتاح عليان. ص٤٤.

كما كان المستشرقون يسعون لتقوية الأقليات النصرانية في البلدان الشرقية، ولا سيما المسلمة منها وإحلالهم مواطن هامة، ففي إشارة الأقباط مصر تحدث (كارل بيل) في محاضرة له عن الباحث (أكاربلاد Akerblad) فكان مما قال عنه وهو يتحدث عن الآثار الفرعونية أنه كان يعشق علم الآثار، لدرجة أنه خصص لتلك اللغة مصريين نصارى، كما يبدو أنه كان يعد كتابًا حول الجغرافية القبطية، تحتوي على مواد لم تكن في بداية عصرنا هذا معلومات بطريقة مثالية[٤٨].

فتفضيله لنصرانيين على بقية المصريين، يدل على أنه يسعى لنقل خبراته إليهم، وبالتالي فهو مثال عن نقل الثقافة الغربية إلى أتباع الكنيسة في المشرق، وبالذات الأقباط منهم، لتوطنهم في مصر ذات الأهمية البارزة، تاريخيًا وجغرافيًا، ثم بحثه عن جغرافية الأقباط له دلالاته السياسية والاقتصادية والاجتماعية، لاهتمام الغرب بهذا المجتمع النصراني الذي يعيش وسط مجتمع إسلامي كبير[٤٩].

* * *

---

(48) مؤتمرات المستشرقين ص٩٢، ٩٣

Piehl,karl Quelques Mots Surlaviw Etles Ouvres Dej. D. Akerblad – Actesdu Huitieme Congres Internationol Des Orientaistes – Stockholm and Christiania – 1889 – Quatvieme Partie – Iii Section – P. 64.

(49) مؤتمرات المستشرقين ص٩٣.

الدوافع الثقافية:

يهتم المستشرقون بدراسة التراث الشرقي وثقافته، وكل مستشرق يدرس ما يميل إليه من الجوانب الثقافية، وفي مؤتمراتهم يتم عرض ما تم التوصل إليه، ويهدفون من ذلك عدة أمور خطيرة أهمها هيمنة الثقافة المسيحية عن طريق العولمة الثقافية وإبدال الحروف الشرقية بالحروف اللاتينية، والتعريف بالمتأثرين بالمستشرقين من البلدان الشرقية والتعريف بأعلام المستشرقين.

ونحاول دراسة كل جانب على حده باختصار:

أولاً: هيمنة الثقافة المسيحية الغربية عن طريق العولمة الثقافية.

يحاول المستشرقون خلق ثقافة موحدة، وذلك أمر يتطلب جهدًا شاقًا وصراعًا بين تلك الثقافات، ولكن المستشرقون يستندون على القوة العسكرية والاقتصادية لبلادهم والإمكانيات الإعلامية التي لا تملكها الكثير من الدول الشرقية.

يقول كوبنن في مؤتمر المستشرقين السادس عام ١٨٨٣م: "في قرننا الذي نعيش فيه هذا يدعى أن المسافة بين أولئك الذين يملكون والذين ليس لديهم أي شيء اتسعت اتساعًا كبيرًا، لكن العكس هو الصحيح في الميدان الذي تتجه إليه دراساتنا، ثم ها هو مؤتمرنا يؤيد ذلك، فلا توجد أي مسافات[٥٠].

ولقد حاولت أوروبا تطبيع الشعوب الواقعة تحت سيطرتها القابعة تحت نير احتلالها تثقيفها ثقافة بعيدة كل البعد عن ثقافتها المتوارثة تاريخيًا، والمؤثرة فيها عدة عوامل أهمها الدين، وطريقهم في ذلك محاولة مسخ كل الموروثات الثقافية والحضارية الخاصة بتلك الشعوب، ومن أهم تلك الموروثات اللغة التي سيأتي الحديث عنها لاحقًا، وهنا تصبح تلك الشعوب خاضعة وتابعة ثقافيًا للغرب، ومن

([50]) مؤتمرات المستشرقين ص١٠٣، ١٠٤.

Kuenen (Address) Actesdu Sixieme Congres In Ternational des Orientalistes – Leide – 1883 – Premiere Partie – P.53.

أساليبهم التي يوصلهم إلى ما يريدون هو التشكيك في العلماء الشرقيين ومحاولة رفع شأن المستشرقين، حتى يصبح المستشرقون هم المرجع الأول والأخير للباحثين من الشرق والغرب، ويؤكد ذلك ما قاله (ماكس ميللو) في المؤتمر التاسع للمستشرقين العالميين.

فإنه يجب أن نتأكد دون خوف التناقض، أن معرفتنا حول الوجود اليقيني لأول حقبة، يرجع الفضل فيها إلى اكتشافات الدارسين المستشرقين، أما عن التاريخ القديم للعلماء فيمكننا أن نقول: **إنه تم تزييفه من قِبل أيادي الباحثين الشرقيين**[٥١].

ثانيًا: وضع الحروف اللاتينية بديلاً عن الحروف الشرقية.

يحاول المستشرقون بكل السبل إحلال الحروف اللاتينية بديلاً عن الحروف الشرقية؛ حتى يتيسر أمر البحث وحتى تتسلخ الأمم الشرقية من أصالتها وتراثها؛ لأنه يعتمد على اللغة الذي يحوي ماضي تلك الأمم.

يقول (صمويل بيرتش) عن خطة إبدال الحروف: "وعندما تنفذ هذه الخطة بأكملها، لا يبقى شيء يربط الشرق بالغرب، بدرجة أقوى وأعظم من إزالة هذه الحواجز التي تمنع الملكية السهلة لمثل مفاتيح الفكر هذه، وهي ضرورية للفهم المتبادل والسعادة العالمية"[٥٢].

وعن عوائق ذلك المخطط يقول (صمويل بيرتش): "لعله من الضروري للمؤتمر أن يعد درجة الرغبة الجانحة نحو مناقشة مسألة أبجدية لغوية عالمية، من شأنها أن تزيل ما لدى الشرقيين أنفسهم من ضرورة كتابة لغاتهم المتعددة،

---

[51] مؤتمرات المستشرقين ص١٠٥، ١٠٦.

Muuer,max – Inaugural Address – Transactions Of The Ninth International Congress Of Orientalhsts – London – 1892 Vol. I – P.32.

[52] مؤتمرات المستشرقين ص١٠٩.

Birch, Samuel – Inaugural Address – Transactions Of The Second Session Of The In Ternational Congress Of Orientalists – London – 1874 – P.6.

والمتوزعة بطرق مختلفة. أما إذا أمكنها تقسيمها، فإن ذلك يمثل فائـــدة كبيـــرة تكتسبه تلك اللغات من الغربيين، فقد تنقضي شهور وربما سنوات في البحث عن أبجدية رئيسية مقطعيّة لأنواع اللغات المختلفة(٥٣).

* * *

(53) مؤتمرات المستشرقين ص١١٠.
Birch, Samuel - Inaugural Address - Transactions Of Thesecond Session Of The International Congress Of Orientalists - London - 1874 - P. 6.

الدافع العلمي:

لقد كان الدافع العلمي من الدوافع الهامة والمؤثرة في حضارة الغرب، فلقد كانوا ينظرون إلى الحضارة الإسلامية نظرة تعجب وإبهار، فعملوا على دراسة ما توصل إليه العلماء المسلمون في مختلف العلوم من كيمياء ورياضيات وفلك ودراسة التراث الإسلامي أيضًا، مما جعلهم ينشئون المدارس والجامعات، ويأتون بالعلماء المسلمين والمتتلمذين على أيديهم ليدرسوا في تلك المدارس والجامعات، وبعد أن وصلوا إلى حد معقول في التقارب العلمي تحول هدفهم إلى هدم الحضارة الإسلامية بشتى الصور، وكان يجب على المسلمين أن ينتبهوا إلى ذلك في بداية الأمر حيثما كانوا يتلقون العلم على أيدي المسلمين من جهة وإلقاء اتهاماتهم من جهة أخرى، وإن كان ذلك الأمر غير مكتمل الصورة للمسلمين.

يقول الأستاذ (خليق أحمد النظامي): "نشأت في الغرب رغبة الإطلاع على ما حققه الإسلام من مآثر حضارية حينما دخل العرب أسبانيا وصقلية، ولم يكن دخولهم فتحًا لدولة أو جزيرة فحسب، بل إنه كان فتحًا لعهد جديد في مجال العلوم والفنون والحضارة والمدنية، وقد بعث هذا الفتح كما قال المستشرق الفرنسي (مسينون Mesognon) يقظة حضارية في أوروبا، وفتح للغرب أفاقًا جديدة للتقدم والرقي، وقد كان حب الاستفادة من علوم العرب وتفهم حقيقة دينهم باعثًا لدراسة شاملة للإسلام، وكان علماء أوروبا يحاولون الأخذ والاستفادة مما أنجزه العرب من اكتشافات جديدة وتجارب علمية"(٥٤).

* * *

(54) الدراسات الاستشراقية في ضوء العقيدة الإسلامية ص١٠٦، عن البعث الإسلامي العدد الخامس صفر ١٤٠٢هـ ص٦٤.

الدافع السياسي والاستعماري:

عنى الملوك بتقديم يد العون والمساعدة للمستشرقين وتقريبهم، وذلك لأنهم يخدمون مخططهم في الهيمنة السياسية على الدول الشرقية، وبالأخص المخطط الاستعماري الذي بدء بعد أن ضعف المسلمون وضعفت الدولة العثمانية، ولقد مهد لهم المستشرقون من حيث عدة أمور:

أولاً: دراسة الدول المراد استعمارها لكيفية التعامل معها وكيفية التبشير بين أبنائها.

ثانيًا: إظهار الحضارة الإسلامية بمظهر مخالف لحقيقتها، وإبراز الحضارة الغربية بمظهر أفضل للهيمنة ولزرع الضعف في نفوس الشعوب الشرقية.

ثالثًا: إبعاد المسلمين عن تعاليم دينهم، وبالتالي إبعادهم عن الجهاد ليظلوا تحت استعمارهم.

يقول (ماديس دومانجو) في مؤتمر المستشرقين الأول: "لم نصل بعد إلى العصر السعيد، حيث ينظر دبلوماسي الدول الغربية إلى بعضهم، ربما على أنهم أوصياء شرفاء على الأمم الصغيرة؛ لأنه واجبهم"(٥٥).

ويقول (غلان روبلس) في المؤتمر الخامس: "لنا دافعان يجبراننا على أن نولي اهتمامًا جديرًا فيما يتعلق بالدراسات العربية: فالأول ذو مصلحة أدبية وتاريخية؛ والآخر سياسية واقتصادية، أي مصلحة توسعية هدفها تكوين مجد"(٥٦).

---

(55) مؤتمرات المستشرقين ص١٢٨

Madier demontjau (Discours) la Politique Chez Les Japonais – Congres International des orient Talistes -- Compte renduede la premiere Session – Paris – 1873 – Tome Troixieme P.139.

(56) مؤتمرات المستشرقين ص١٢٨

Robles, Guillen Dei,etatactuel Desetudes arabes en Espagne – Verhandlungen des fuften Internationalen orientalisten – Clngvess Berlin – 1881 – T2 – P.30.

وتدل كتابات المستشرقين على أن الاستعمار والهيمنة السياسية هدف من أهدافهم، ومن ذلك ما يقوله (لورانس براون): "إن الخطر الحقيقي كامن في نظام الإسلام، وفي قدرته على التوسع والإخضاع، وفي حيويته أنه الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الغربي"(٥٧).

وكان للاستعمار الغربي أثره على تنمية الدراسات الاستشراقية وتشجيع المستشرقين، ولقد أدت الأطماع الأوروبية الاستعمارية إلى حرص دول أوروبا على اقتناء كنوز الشرق العربي الإسلامي، والكشف عن الحضارة العربية والتراث الإسلامي، فأحسنت كل دولة إلى مستشرقيها، فضمهم ملوكها إلى حاشيتهم أمناء أسرار وترجمة، وانتدبوا للعمل في سلكي الجيش والدبلوماسية إلى بلدان الشرق، وولوهم كراسي اللغات الشرقية في كبرى الجامعات والمدارس الخاصة والمكتبات العامة والمطابع الوطنية، فأجزلوا عطاءهم في الحل والترحال ومنحوهم ألقاب الشرف وعضوية المجامع العلمية(٥٨).

* * *

---

(57) الدراسات الاستشراقية في ضوء العقيدة الإسلامية ص٩٢، عن مقدمات العلوم والمناهج في الفكر الإسلامي ١/ ٢٢٢.

(58) الدراسات الاستشراقية في ضوء العقيدة الإسلامية ص٩٣، عن تحقيق التراث ص١٩٠.

الدافع الاقتصادي:

لقد لازم ذلك الدافع الاستعماري، فقد كان هدفهم نهب الثروات من البلاد العربية وجعلها تتوقف عن الإنتاج وجعلها سوقًا مستهلكة لمنتجاتهم.

يقول (إيرون دو فيلافوس) في المؤتمر الرابع عشر في الجزائر سنة ١٩٠٥م - ١٣٢٣ هـ عن (رينان): "بأنه يرى أن غزو فرنسا للجزائر سيكون مجدًا لفرنسا لما للجزائر من ثروات معدنية وأثرية"(٥٩).

ويقول الوزير (بيانفوني مارتن): "لقد جعلتكم تطلعون على الجهود الفرنسية المتواصلة والمبذولة منذ نصف قرن؛ كي تبرز الثروات الطبيعية القيمة التي تحويها الجزائر"(٦٠).

وتم دراسة الشرق لمعرفة ثرواته ومعرفة كيف يتم الاستيلاء عليها.

وهكذا فإن الدافع من وراء إنشاء مراكز الدراسات العربية الإسلامية في الغرب لم يكن علميًا منذ البداية، بل كانت الغاية منه والهدف دينيًّا تبشيريًّا هدميًّا، وقد انضم إلى هذا الدافع الديني في القرن السابع عشر سبب استعماري استغلالي ظهر للوجود نتيجة للصلات الاقتصادية وخطط التوسع الاقتصادي التي ظهرت في أوروبا، فقد جاء في المذكرة التي رفعها جمع من العلماء سنة ١٦٣٩م إلى المسئولين في جامعة كمبردج، والتي طلبوا فيها إنشاء كرسي للدراسات العربية الإسلامية ما يلي.

يضع المركز نصب عينيه خدمة مصالح الملك والدولة، وذلك بالعمل من أجل ازدهار تجارتنا مع الأقطار الشرقية وتوسيع حدود الكنيسة إذا شاء الله في

---

(59) مؤتمرات المستشرقين ص١٣٤.

Villefoss, Heronde (Discour) – Actes Duxiveme Congres In Ternational des orientalistes – Alger – 1905 – Premiere Partie – P. 73.

(60) مؤتمرات المستشرقين ص١٣٤.

Bienvenu – Martin (Discour), Minstve dei, Instruction Publi Queet des Cultes – Actesdux Iveme Congres International des Orientalistes – Alger – 1905 – Premiere Partie – P. 77.

الوقت المناسب، ونشر هدى الدين المسيحي بين أولئك الذين لا يزالون يتخبطون في ظلمات الجهالة[٦١].

ولقد كان الهدف الاقتصادي عاملاً في دخول بعض رجال الدين ميدان الاستشراق من باب البحث عن الرزق، عندما ضاقت بهم سبل العيش العادية، فلجأ هؤلاء إلى إشباع رغبة قرائهم في الغرب بنقلهم صورًا خرافية عن البلاد الشرقية توافق ما تخيلوه من أطواره وأعاجيبه التي ترد في قصص ألف ليلة وليلة وغيرها.

وفي رحلات الرواد في القرون الوسطى ولا يستهويهم عن الشرق غير ما تخيلوه، فهواهم كله نحو الأحاديث الشرقية التي تعرض شرقًا كالذي قرعوا عنه في أساطير الخيال، وقد زعم واحدًا من هذا الصنف أنه تجول بين ربوع البادية العربية ونزل بضيافة شيخ في الستين من عمره له في مضارب الخيام حوله ثلاثون زوجة وله من الأنباء ما ليس يحصيه عدد.

ومن بين هذا الصنف من لجئوا إلى الاستشراق تخلصًا من مسئولياتهم الدينية المباشرة في مجتمعاتهم المسيحية وتبرئة لذمتهم الدينية أمام إخوانهم في الدين، كما دخل بعض هؤلاء ميدان الاستشراق عندما قعدت بهم إمكاناتهم الفكرية عن الوصول إلى مستوى العلماء في العلوم الأخرى، أو بمعنى آخر لتغطية عجزهم الفكري[٦٢].

* * *

([61]) الدراسات الاستشراقية في ضوء العقيدة الإسلامية ص٩٨، عن د/ عرفان عبد الحميد المستشرقون والإسلام ص١٤، ١٥ طبعة / ١٩٨٠م المكتب الإسلامي.

([62]) الدراسات الاستشراقية في ضوء العقيدة الإسلامية، عن د/ عليان أضواء على الاستشراق ص٤٦.

الجمعيات الاستشراقية

تكونت الجمعيات الاستشراقية بعد أن سبقتها الكثير من الخطـوات التـي مهدت لها الظهور وسهلت لها خطة العمل، ولقد سبقت الجمعيات غيرهـا مـن التجمعات الاستشراقية، وعملت على انعقاد المؤتمرات العالمية للتعارف ولتبادل الأفكار والمقترحات، ومما ساعد على ذلك هذا الحقل المعرفي كنوع من أنواع العلوم لها من يساندها مثلها مثل الفروع الأخرى من طب وفلك وفيزياء وغيرها من العلوم المعرفية، واكتشافات الغرب لجغرافية منطقة الشرق وذخائره التراثية والفكرية والمادية كما يطلقون عليها.

وتطلع الغرب لبسط نفوذه وساعده على ذلك ما يملكه من قـوة عسـكرية وصناعية واقتصادية، ساندهم في ذلك المنصِّرون ورجال الأعمال وذوى النفوذ من أجل بسط نفوذهم في الشرق.

ولتلك الجمعيات دور هام وبارز في تحقيق أهداف المستشرقين، وتتمثـل فيما أعلنوه وما أخفوه.

ومن الأمور المعلنة ما ذكرته جمعية الأثيني الشرقية مـن أنهـا تسـعى لتحسين العلاقة بين الشرقيين والغربيين، وتحبيب النفس الغربية في الدراسـات الاستشراقية، واكتشاف الشرق بعد الهدف الأول في رأيي؛ لأنه يمثل المعرفـة المباشرة التي أسست الجمعيات من أجلها.

فدراسة الآثار والتاريخ والفنون والتراث بمثابة اللباس الذي ترتديـه تلـك الشعوب، فإذا ما عرف جيدًا؛ أمكن للمستشرقون تقييمه وإظهار عيوبه، فإذا ما أرادوا إقناع تلك الشعوب بأن لباسهم لا يصلح استطاعوا ذلك، ويمكن لهم تحليل خصائصه والاعتماد عليه في صناعة لباس جديد لهم وذلك إن صح التعبير.

ويقول (أحمد سميا لوفينش): "شرع علماء الغرب في تأسـيس الجمعيـات العلمية التي كانت بمنزلة نقطة الانطلاق الكبرى للاستشراق؛ حيث تجمعت فيها

العناصر العلمية والإدارية والمالية، فأسهمت جميعها إسهامًا فعالاً في البحث والاكتشاف والتعرف على عالم الشرق وحضارته، فضلاً عما كان من أهداف استغلالية واستعمارية، غير أنها كانت من أقوى البواعث التي ساعدت علماء أوروبا على بلوغ هذه الغاية بتشكيل جمعيات آسيوية يعقد أصحابها جلسات قانونية، وينشرون البحوث المختلفة في كل فروع العلوم الشرقية[٦٣]، قد أدى تأسيس الجمعيات إلى تجمع القوى المتفرقة للدراسات الشرقية وازدياد نشاطها واشتداد التنافس بينها؛ لأن الأعمال الكبرى لا تظهر فائدتها إلا باجتماع القوى المتفرقة"[٦٤].

لقد فطن المستشرقون لمسألة التوحد التي تخدم قضيتهم الاستعمارية والدينية، وتوسع النشاط الاستشراقي في تلك البلدان المنوطة بالدراسة والبحث.

وفي تلك الفترة التي عرفت بالنشاط الاستعماري الواسع للغرب، نشأت الجمعيات الاستشراقية التي ساندتها أموال منتجات الصناعات، فكان لها من توفير سوق لتلك المنتجات، وذلك لا يتأتَّى إلا بدراسة المجتمعات الشرقية، وهذا هو عمل تلك الجمعيات؛ لذلك نجد أن الظروف الاقتصادية والسياسية ساهمت في الاستمرارية لها ودعم نشاطها.

وانتشرت الجمعيات والشركات الاستشراقية وأصبحت ظاهرة في الغرب، حتى أن البلاد الاستعمارية عملت على تأسيس أكثر من جمعية، وذلك لما لمسوه من نتائج اقتصادية وسياسية وثقافية حققتها تلك الجمعيات، ووصل الأمر لحد التنافس بين الدول.

* * *

(63) مؤتمرات المستشرقين العالمية ص٢٨، عن أحمد سيما لوفينش فلسفة الاستشراق ص٨١- ٨٢.

(64) نفس المرجع السابق ص٢٨، عن نفس المرجع ص٨٢.

المؤسسة الأسيوية.

بدأ التخطيط لتكوين وإنشاء تلك المؤسسة عام ١٨٢١م - ١٢٣٦هـ، وتم تأسيسها عام ١٨٢٢م - ١٢٣٧هـ، وحاولوا ضم أكبر عدد ممكن من المتخصصين في الدراسات الاستشراقية.

وفي غرة أبريل عام ١٨٢٢م والثاني عشرين شوال عام ١٢٣٧هـ تم الاجتماع الأول الذي اختير فيه الأعضاء المسئولون عن المجلس، ورأس هذا الاجتماع تم مناقشة مبادئ المؤسسة.

وكان برنامج المؤسسة هو:

إعداد أو نشر قواعد لغوية وقواميس أو كتب أخرى أصلية معروفة بفوائدها وأهميتها في دراسة اللغات المدرسة في المنابر الشعبية، والمساهمة في عقد اتفاقيات أو أية طريقة أخرى لطباعة المؤلفات ذات النوعية نفسها، سواء في فرنسا أو في الخارج، واقتناء مخطوطات آسيوية أو نسخها كلها أو أجزاء منها، ولا سيما تلك الموجودة في أوروبا في المنشآت الشعبية، والقيام بعمل ترجمات لها أو لأجزاء منها، ومضاعفة عددها عن طريق النسخ أو التصوير أو الطباعة الحجرية، وتوفير الكتابات الهامة حول الجغرافيا والتاريخ والعلوم والفنون التابعة للبلدان الشرقية للمؤلفين، وهي إمكانيات من شأنها أن تمتع الجمهور بنتاج سهرهم وجلب انتباهه للمنتجات العلمية والأدبية والشعرية الشرقية، وكذلك تلك الشبيهة لها التي تظهر في أوروبا، وحول المكتشفات والأعمال المتنوعة التي يمكن أن تكون الشعوب الشرقية موضوعًا لها عن طريق نشر مصنف دوري مخصص للآداب الآسيوية[٦٥]. ذاك هو المخطط العلمي للمؤسسة.

([65]) مؤتمرات المستشرقين العالمية ص٣٢، عن

Finoet, Louis. Histoire de La Societe Asiatique – P. 5.

للمؤسسة هيكل إداري يتكون من: رئيس فخري ورئيس وسكرتير ونـــائبي رئيس، وثلاثة أعضاء مختصون بالاعتمادات المالية وأربعة، وعشرين عضـــوًا وسكرتير ومحاسب.

ويتم انتخاب الرئيس الفخري والسكرتير كل خمس سنوات، وذلك خلافًـــا للباقي الذي يتم انتخابها كل سنة، ويجتمع المجلس مرة واحدة كل شهر، ولخدمة الجماهير يتم فتح المكتبة يوم الثلاثاء والسبت لمدة ثلاث ساعات؛ أي من الواحدة إلى الرابعة عصرًا.

وبعد سبع سنوات دعمتها الحكومة، وذلك بقبولها في ١٥ إبريل عام ١٨٢٩ ١٤ شوال عام ١٢٤٥هـــ.

الرؤساء الذين تولوا إدارة المؤسسة([66]):

١	سلفستر دو ساس	Silvester de Sacy	١٨٢٢- ١٨٢٩	١٢٣٧- ١٢٤٤
٢	ج. ب. أبال ريموزا	Abel Remusat	١٨٢٩-- ١٨٣٢	١٢٤٤- ١٢٤٩
٣	سلفستر دو ساس	Silvester de Sacy	١٨٣٢- ١٨٣٤	١٢٤٩- ١٣٥٢
٤	آميدي جوبار	Amedee Jaubert	١٨٣٤- ١٨٤٧	١٣٥٢- ١٢٦٣
٥	رينو	Rinaud	١٨٤٧- ١٨٦٧	١٢٦٣- ١٢٨٣
٦	جول مول	Jule Mohl	١٨٦٧- ١٨٧٦	١٢٨٣- ١٢٩٣
٧	جارسان دو تاس	Garcin Tassy	١٨٧٦- ١٨٧٨	١٢٩٣- ١٢٩٥
٨	آدولف ريجنير	Adolphe Regnier	١٨٧٨- ١٨٨٤	١٢٩٥- ١٣٠٢
٩	إرنست رينان	Ernest Renan	١٨٨٤- ١٨٩٢	١٣٠٢- ١٣٠٩
١٠	باربير دو ماينار	Barbier de Maynar	١٨٩٢- ١٩٠٨	١٣٠٩- ١٣٢٦
١١	إيميل سينار	Emile Senart	١٩٠٨- ١٩٢٨	١٣٢٦- ١٣٤٧
١٢	سلفان ليفي	Sylvin Levi	١٩٢٨- ١٩٣٥	١٣٤٧- ١٣٥٤
١٣	بول بيليو	Paul Pelliot	١٩٣٥- ١٩٤٥	١٣٥٤- ١٣٦٤
١٤	جاك باكو	Jacques Bacol	١٩٤٦- ١٩٥١	١٣٦٥- ١٣٧٠
١٥	شارل فيرلود	Charle Virlleuud	١٩٥١- ١٩٦٤	١٣٧٠- ١٣٨٣
١٦	جورج كودي	George Coedes	١٩٦٤- ١٩٦٩	١٣٨٣- ١٣٨٩
١٧	ريني لابا	Rene Labat	١٩٦٩- ١٩٧٥	١٣٨٩- ١٣٩٥
١٨	كلود كاهين	Cluude Cahen	١٩٧٥- ١٩٨٧	١٣٩٥- ١٤٠٧
١٩	أندري كاكول	Andre Caquol	١٩٨٧- ١٩٩٦	١٤٠٧- ١٤١٦
٢٠	دانيال جيماري	Daniel Gemaret	١٩٩٦-...	١٤١٦-...

* * *

(66) مؤتمرات المستشرقين العالمية.

الجمعية الملكية الأسيوية لبريطانيا وأيرلندا.

تأسست الجمعية في ١٥ مارس ١٨٢٣م، ١٣ رجب ١٢٣٨هـ ومثلها مثل المؤسسة الآسيوية وضعت لنفسها منهج علمي، وهو دراسة تراث الشعوب الآسيوية، وبلغ عدد أعضاءها إلى ثلاثمائة وأربعة وعشرين عضوًا، منهم ملوك ورؤساء دول وأمراء، وسبعة شغلوا منصب رئاسة الوزراء وأصحاب المناصب العليا في الهند من البريطانيين.

ولم تكن الإمكانيات المادية قبل الحرب العالمية الأولى متوفرة بالشكل الذي يمكن الجمعية من مواصلة العمل، لكنها استطاعت أن تتغلب على تلك المشاكل المادية.

ولقد ساهمت الجمعية في نشر البحوث الشرقية عن طريق مساعدة المستشرقين ونشر الكتب الهامة، وجعل اللغات الشرقية إحدى اللغات التي يدرس بها في جامعات بريطانيا، وتأسيس كلية الدراسات الشرقية في لندن التي كانت تنادي بتأسيسها.

* * *

الجمعية الشرقية الأمريكية.

أعلن عن قيام الجمعية الشرقية الأمريكية American oriental Socicty في شهر أغسطس من سنة ١٨٤٢م (رجب ١٢٥٨هـ) بمدينة (بوسطن)، وتمت مناقشة مسودة القانون الأساسي للجمعية في السابع من شهر سبتمبر (الثالث من شعبان) من العام نفسه، وتم الإعلان النهائي عن تأسيس الجمعية في الثالث عشر من أكتوبر سنة ١٨٤٢م (التاسع من رمضان ١٢٥٨ هـ)، وانتخب (جون بكيرينج John Pickering) أول رئيس لها[٦٧].

لم يكن كل الأعضاء المؤسسين من الشخصيات العلمية المرتبطة بمجال الدراسات الشرقية التي تعني بها الجمعية، كما أن الجمعية كانت ذات ارتباط وثيق منذ تأسيسها بالجمعيات التنصرية الخارجية[٦٨].

وكانت الخطة العلمية تدور حول اللغات الآسيوية والعبرية والأفريقية، والبحث في الدراسات المصرية والفينيقية والقرطاجية والدراسات الفارسية والمسمارية، والهدف الأساسي لها التنصير، ولم تقتصر على ذلك بل اهتمت بكل ما هو استشراقي.

ولقد ارتبطت الجمعية الاستشراقية الأخرى وأقامت معهم علاقات لتبادل الخبرات.

ومن أهم أعمالها مساهمتها في إنشاء مدرسة في بيروت للدراسات الأثرية والإنجيلية، وإصدار مجلة باسم (Journal Of The American oriental society).

ومن الطبيعي أن هذه المجلة تعمل على نشر أفكار الجمعية الاستشراقية، وتملك الجمعية مكتبة ضخمة فيها الكثير من الوثائق والمخطوطات، ولها

---

(67) مؤتمرات المستشرقين نقلاً عن كلمة رئيس الجمعية للعام ١٨٩٣م - ١٣١٠هـ.
(W.Mageswar d) بمناسبة مرور خمسين سنة على إنشاء الجمعية.
Proceeding of the American orientalsaciety atitsmeeting…in new york, N. y. Marchz 9 th. 30 th, and 31 st, 1894- P. Lix- (No Publishes).

(68) مؤتمرات المستشرقين عن Ibid. P. lx.

مراسلون في الدول الشرقية يمدونهم بكل ما يلزمهم وبالتقارير التي تفيدهم في كيفية العمل وتناقش في اجتماعاتهم.

* * *

جمعية المستشرقين الألمان.

تم تأسيس الجمعية بعد اختلاف واحتدام النقاش، فقد كانوا يريدون إنشاء جمعية آسيوية مثل باقي الجمعيات الأوروبية ولكنهم أسموها الجمعية الشرقية، ثم تم تغييرها إلى جمعية المستشرقين الألمان، وقد كان مكتبهم المؤقت تحت رئاسة المستشرق فلايشر ونائبه المستشرق روديجر.

ووضعت الجمعية خطة علمية، وهي لا تختلف عن الجمعيات السابقات لها، فهي معنية بدراسة الشرق بمختلف جوانبه من تاريخ وفنون وآثار وخلافه.

ولقد تميزت تلك الجمعية بالإمكانيات الضخمة التي جعلتها تخطط للعمل بحرية دون التقييد بالميزانية، فقد كانت الحكومة البروسية تقدم المعونة لها سنويًّا، وكذلك ولي عهد السويد والنرويج والنمسا يمدونها بالمال إضافة إلى باقي الموارد التي تدر عائدًا ماديًّا.

من خلال ما سبق يتضح لنا أن تلك الجمعيات تأسست من أجل دراسة الشرق، والتعرف عليه من خلال تلك الدراسة المستفيضة التي لمت جميع جوانبه الثقافية والمعرفية، وأنها ساهمت في لم شمل المستشرقين وتوحدهم ومساعدة بعضهم البعض.

* * *

الآثار المترتبة على دراسات المستشرقين

ترتبت على دراسات المستشرقين آثارًا كثيرة على العقائد والتاريخ الإسلامي، سواء كانت بالسلب أو بالإيجاب، لكن السلبيات التي ترتبت على تلك الدراسات فاقت بكثير عن الإيجابيات.

أولاً: الآثار الإيجابية.

حينما أراد المستشرقون تشويه صورة الإسلام عن طريق لباس الدارسين لعلومه، وبدءوا في نشر افتراءاتهم وما زوروه، فما كان من العلماء المخلصين إلا أن تصدوا لتلك الأباطيل التي يروجها المستشرقون، وألفوا الكتب التي ترد عليهم وتظهر زيف أقوالهم.

ولقد أثرت تلك الحركة الفكرية في خلق علماء مسلمين مهتمين بالبحث والتنقيب، في أوقات كثيرة انتشر فيها الجمود الفكري بين علماء المسلمين، ودفعت طريقة المستشرقين في البحث والتنقيب بعض الباحثين المسلمين إلى الاهتمام بالبحث وتوثيق المعلومات؛ حتى يصبح كل منها إنشائيًّا. وجاء ذلك نتيجة الحقائق المزورة التي ادَّعاها المستشرقون، فكان لزامًا على الباحثين المسلمين الذين يريدون إظهار الحقيقة أن يكشفوا عن الحقائق الأصلية بالبحث والتنقيب وتوثيق ما أظهروه من حقائق، سواء كانت تاريخية أو عقائدية، ولا يظن أحد أن تلك الطريقة مستجدة على المسلمين، إنها قديمة منذ العصر الأول ولكن المسلمين أهملوها، وذلك يتمثل في علماء الحديث وعلم الرجال. اعتمد المستشرقون في أبحاثهم على كثير من الكتب المسروقة والموجودة في العديد من المكتبات، مثل: الفاتيكان وبرلين ولندن وباريس، وذلك أدى إلى إظهارها.

وهناك من المستشرقين من تنازل عن تعصبه الذميم وبنى دراساته على الوقائع الحقيقية، مما أدى إلى دخول بعضهم ودخول الكثير من الغرب في الإسلام.

ثانيًا: الآثار السلبية للدراسات الاستشراقية.

إن الآثار السلبية التي ترتبت على الدراسات الاستشراقية كثيرة، وأهمها تزوير الحقائق ومحاولة جعلها حقائق ثابتة بعد أن تبدلت وشوهت، وبالفعل اعتمد عليها بعضًا من الباحثين من علماء المسلمين، وانتشرت في العوام وأثرت فيهم تأثيرًا عظيمًا، ومع كل ما فعلوه فالحقائق ثابتة لم تتغير ولم تتبدل؛ لأنها محفوظة في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ. يقول سبحانه وتعالى: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾[٦٩].

وللأسف الشديد فإننا إذا نظرنا إلى حال المسلمين اليوم سنجدهم يعيشون على كثير من تلك الحقائق المشوهة، ولا يريدون الرجوع إلى الحقائق الأصلية التي لم يستطع المستشرقون المساس بها، وذلك نتج عن أمرين هامين للغاية:

أولهما: مساعدة المذاهب والتيارات المنحرفة على الظهور.

عمل المستشرقون على إحياء المذاهب والتيارات المنحرفة، والتركيز على نقاط الخلاف بين الفرق الإسلامية، ونجدهم ينحازون لأصحاب الأفكار المنحرفة ويشيدون بهم، ويبحثون عن كتبهم ويخرجونها لإعدادها للنشر، ويصورون تلك الكتب على أنها الفكر الإسلامي الأصيل والصحيح.

وهدفهم من إظهار نقاط الخلاف وإبراز المذاهب والتيارات المنحرفة النيل من الإسلام بإظهاره مظهر عدم الثبات في قواعده، وهم بذلك يفرقون بين الإسلام لقواعد ثابتة نصَّ عليها القرآن والسنة، وبين الأمور المستجدة التي يستخدم فيها منهج الاجتهاد، ولا يفرقون بين الإسلام وبين الخارجين عليه، فالإسلام يقاس بما أتى به من خير للعالم أجمع من شريعة تضمن السلام والأمن إن نفذت ومنهج اقتصادي واجتماعي وسياسي وفي كل مناحي الحياة.

([69]) الحجر ٩.

ومن أهدافهم الغير فعلية بشكل مباشر الأخذ على الإسلام مآخذ لا تخصه، وإنما تخص بالتيارات والحركات التي كان لليهود دور في ظهورها وانتسابها للإسلام ظلمًا وبهتانًا.

يقول المستشرق (سي روجاتياين) في معرض مدحه للتصوف: "لقد نفذت الأفكار اليونانية في بعض مفكري الإسلام بواسطة طريق أقل مباشرة، وإن كانت أكثر دهاء، وتركت هذه الأفكار آثارًا من الممكن اعتبارها آثارًا عظيمة، وأعنى بذلك الصوفية الإسلامية نبذة الإسلام الخالصة".

وبعد أن زعم أن المسلمين ركنوا إلى الملذات قال: "وكان من الطبيعي أن يشجب المفكرون التقاة ذلك التطور والتغير، فظهرت حركة إسلامية خالصة تدعوا إلى الزهد والتقشف، ولقد ثار التقاة الذين تصدوا بادئ الأمر لتكالب الناس على الدنيا مرة ثانية على المتظاهرين بالتدين، واعتبروا هذا التظاهر بدلاً من أن يطهر الحياة من الدنس يهدد بأن يصبح حائلاً بين العبد وخالقه، وكانت الصوفية هي محصلة هذه الثورة، وكانت دعوة الجهاد من أجل الإتحاد مع ذات الله والحلول في ذاته العلية في هيام وسرور، وقد تغذت الصوفية الإسلامية بدرجة كبيرة من أفكار الإغريق[٧٠].

فهذا مدح للتصوف إلى أعلى الدرجات، وقال (جيجر) (وكوفمن) (ومركس) (وفينسنك) (وهرسفلد) (وجولد تسيهر) بتأثير يهودي في عقائد الصوفية، وقال (بكروأسين بلاثبوس) و(مانيكولسون) بتأثير مسيحي[٧١].

وهنا لا بد أن نلاحظ شيئًا هامًا وهو إلصاق المستشرقين ما أخرجه ونفاه علماء الأمة بالإسلام، فلقد أخرج علماء المسلمين التصوف الإسلامي الدخيل،

([70]) الدراسات الاستشراقية في ضوء العقيدة الإسلامية ص٥٤٤، ٥٤٥، عن دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية ص٢٦.

([71]) نفس المرجع السابق ص٥٤٥، عن الصوفية معتقدًا ومسلكًا. د/ صابر طعيمة ص٨٧-٨٨، طبعة الأولى ١٤٠٥هـ، شركة العبيكان للطباعة والنشر بالرياض.

والذي لا يمت للعقائد الإسلامية الصحيحة بصلة، بينما نجدهم يصرون على علاقته بالإسلام ويحاولون نشر كتبه.

لهذا كانت عنايتهم بأمثال ابن الراوندي ومسيلمة الكذاب والحلاج والسهروردي وبشار بن برد وأبي نواس وغيرهم، وقد أخذوا في إعلاء شأنهم. ونجد (فلاكرا تشكوفسكي) الروسي يجلس فترة طويلة من الزمن تقرب من ثلاثين عامًا في جمع وتحقيق اللزوميات للمعري، ويقوم بطبع رسائله، ولا يخفي ما فيه من الزندقة والإلحاد، وكذلك اعتنوا بكتب الفلاسفة أمثال: ابن سينا، والفارابي، وابن رشد، وابن طفيل، فنقبوا عنها وجمعوها بالرغم من تحريفها في الماضي وإبادتها[٧٢].

وندرت كتبهم وأصبح العثور على نسخة منها عسيرًا، ومن يدري ربما ضاعت تمامًا لو لم يقدر لها أن تترجم إلى اللاتينية والعبرية، وهي تراجم قام بها اليهود، وكانوا قد نفوا من أسبانيا أيضًا كما حدث للفيلسوف اليهودي موسى بن ميمون القرطبي[٧٣].

(وماسينون الفرنسي) يبذل جهده ويضيع وقته من أجل أن يقوم بجمع كتب الحلاج، التي سبق أن حرقت ومزقت، فيجمع نتف كتاب الطواسين من هنا وهناك من مخطوطات في استانبول ولندن وباريس، ويحقق كتاب أخبار الحلاج، ويؤلف عن آلام الحلاج والحلاجية، بل نجد آدم يشيد بالحلاج ويعتبره من العلماء الفطاحل الذين ندر في التاريخ أمثالهم. وقد سبق أن سقنا كلامه فيه عند حديثنا عن أساليب المستشرقين، وبهذا يتبين سر اختياره للقرن الرابع الهجري ليؤلف فيه كتابه (حضارة الإسلام) في مجلدين ضخمين ببحث عن واقع المسلمين في ذلك القرن، ذلك الواقع المؤلم الذي كثر فيه أمثال الحلاج وحمدان

---

(72) الدراسات الاستشراقية في ضوء العقيدة الإسلامية ص٥٤٦.

(73) نفس المرجع السابق ص٥٤٦، عن دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية ص٢٦.

قرمط. وكذلك (فيليب) عندما يتكلم عن الفلاسفة ومنهم ابن رشد فيقول عنه: "ويعتبر ابن رشد عن جدارة أعظم ممثل للفكر الإسلامي في الجزء الغربي من العالم الإسلامي"(٧٤).

ثانيهما: محاربة العقائد والحقائق الأصلية.

وعنت مؤلفات المستشرقين بكل ما هو معارض للإسلام أو تعاليمه الصحيحة والأصيلة، حتى الخلفاء عنوا بكتابة تاريخ من عارضهم وفيها كثير من التلفيق والتحليلات المغرضة والغير صحيحة والأمثلة على ذلك كثيرة، ومنها ما ألفه (يوليس فلهوزن) عن الأحزاب الدينية السياسية المعارضة وتوالت كتاباته عن الخوارج والشيعة.

ومن افتراءاتهم اتهامهم للسيدة عائشة ﷺ أنها كانت تبغض سيدنا علي وأنها كانت طموحه، وهذا ما قاله المستشرق الألماني رايسكه حينما يرى في قبض بني أمية عنان الدولة، وفي الآلام التي قاساها آل على بن أبي طالب قضاءً إلهيًّا وتسلك (تشيع حسن)، كما وجد هذا التشيع في مصادره التاريخية غير القديمة العهد؛ أي أنه اعتبر عليًّا الخليفة الحقيقي للرسول، وقد منعه أحيال الشورى ودسائسه من حقه الموروث لمدة ٢٤ سنة، ويرى فيه أحسن ملك ظهر في العالم الإسلامي، ملكا محاه القضاء والقدر، وأباده بغض عائشة الطموحة، ويرى أن في مجادلة علي ومعاوية مثالاً أمثل لظفر الحيلة على القوة ولفوز الرداءة على الأمانة(٧٥).

وهكذا حاول المستشرقون إثارة الفتن وإحياءها وإلصاق كل ما هو باطل بالإسلام؛ حتى ينالوا منه، ولكن هيهات هيهات، ومن الأمثلة الدالة على ذلك ما

---

(74) الدراسات الاستشراقية في ضوء العقيدة الإسلامية ص٥٤٧، عن موجز التاريخ الشرق الأدنى، فيليب حتى ص١٩٨.

(75) الدراسات الاستشراقية في ضوء العقيدة الإسلامية ص٥٤٨، عن المستشرقين الألمان ص٢٠.

رواه الدكتور زيد بن أحمد بن زيد العبلان، حيث يقول: "ومن أمثلة اهتمامهم بإبراز مذهب التصوف في الوقت الحاضر هو ما رأيته بعيني وسمعته أذناي في جامعة أنديانا بلمنقتن، حيث تبني قسم الدراسات الإسلامية بالجامعة محاضرة عن التصوف الإسلامي، وأعلن عن إحياء ليلة الأحد بالمراسيم الصوفية، ويتخلل الحفل بعض الأغاني والترانيم، فسألت رئيس القسم: لماذا هذا الاهتمام بالتصوف إلى هذه الدرجة؟ فكان جوابه: بأن عددًا من الأمريكيين أخذ يدخل في الإسلام؛ لذلك نحن نتبنى التصوف من هذا المنطلق، حيث فيه تقارب بين الصوفية والمسيحية. وإذا كان هناك إسلام في أمريكا هو الإسلام الصوفي عند ذلك عرفت سر الاهتمام؛ إذ هو لإجهاض الاتجاه للإسلام في أمريكا بأفكار تحمل اسم الإسلام لكنها في الواقع بعيدة عنه"[٧٦].

تبنى المستشرقون الحرب على الأئمة والمجددون، محاولين بذلك الحط من قيمتهم العلمية والأخلاقية، ووصل الأمر إلى حد التلفيق والتزوير، فلقد هاجموا الشيخ محمد بن عبد الوهاب وابن حنبل وغيرهم الكثيرون، ولقد اتهم أحدهم الأئمة بإلغاء بعض التشريعات الإسلامية التي كانت موجودة على عهد الرسول ﷺ.

ولقد كانوا يساندون الاستعمار في محاولة القضاء على الحركات والتيارات الإسلامية، وكان لكل منهم سلاحه، فهم يحاولون شحن النفوس ضد تلك التيارات التي تحاول إصلاح المسلمين، بينما يستخدم الاستعمار سلاح القوة لقهرها.

ويعبر عن ذلك لورنس فيقول: "إن وجود حركة إسلامية تجديدية متحمسة كالوهابية في الأراضي الإسلامية المقدسة، خطر حقيقي على مصالحنا وأهدافنا؛ لأن أطماعها واسعة إلى حد استثارة فطرة الإيمان في نفوس المسلمين، مما يعني العودة إلى حضارية الإسلام، كما كانت في عهد الرسول ﷺ والخلفاء

([76]) الدراسات الاستشراقية في ضوء العقيدة الإسلامية ص٥٤٩، ٥٥٠.

الراشدين وسيطرة المسلمين المتحمسين جيلاً بعد جيل على مقادير العالم الإسلامي مما يمهد لسيطرتهم على العالم أجمع"[٧٧].

ويقول في تقريره المبعوث إلى بريطانيا عام ١٩١٩م: "إذا تخلى ابن سعود عن الوهابية وأطماعها؛ فستكون سياستنا لينة معه، أما إذا أصر على الاستمرار في تبني الوهابية، فإننا يجب أن نشن بفرق الجيش الهندي الإسلامية حربًا لاستعادة مكة وقهر الحركة الوهابية، لقد سبق لي في عيد ميلاد ١٩١٨م أن اقترحت أن نفعل ذلك بعشر دبابات"[٧٨].

ومن السلبيات التي أثرت تأثيرًا مباشرًا على المجتمع الإسلامي، هو خلق جيل من الباحثين موالين لهم، ينشرون الأخلاق الفاسدة والعقائد المزيفة، ويدافعون عنها بحجة أنهم من بني جلدتنا ويحاولون التجديد.

* * *

* *

*

([77]) نفس المرجع السابق عن لورنس العرب على خطر هرتزل زهدي الفاتح ص١٥٣-١٥٤.

([78]) نفس المرجع السابق عن نفس المرجع ص١٢٣.

الفصل الثاني

وسائل تشويه الفكر التراثي لأمتنا.

* المدارس والجامعات المستعربة في أوروبا.
* إنشاء المدارس في قلب العالم الإسلامي.
* التعليم من خلال المدارس.
* الصحف.. والمجلات.

المدارس والجامعات المستعربة في أوروبا

حينما تطلع الغرب إلى الحضارة الإسلامية، وجد أنه لا مناص من دراسة اللغة العربية والعلوم الإسلامية والعلمية، وبعد أن تلقى الكثيرون من القساوسة والرهبان وغيرهم العلم على أيدي المسلمين في العواصم العلمية والثقافية الإسلامية رجعوا إلى بلادهم؛ لينشروا ذلك العلم، وفكر بعضهم في إنشاء مدارس توفر على الكثير الذهاب إلى تلك العواصم، فكان أول من أنشأ مدرسة تهتم بدراسة كل ما هو إسلامي (سلفستروس الثاني)، الذي رأس البابوية سنة ٩٩٩م، (وجيرار دي كريمون) ١١٨٧م، (وبطرس) ١١٥٦م.

وحرص كثير من الملوك على إنشاء تلك المدارس، ومن هؤلاء الملك (شارلمان) الذي كان على علاقة بـ (هارون الرشيد)، فأخذ يقرب العلماء الذين درسوا في العواصم الثقافية والعلمية الإسلامية، وقرر إدخال تلك المواد والعلوم التي تدرس في تلك العواصم في المدارس الواقعة تحت إشراف الكنيسة، ولقد أقلق ذلك القرار الكنيسة، ولكنهم لم يستطيعوا تعطيله أو إلغاءه، وبعد موت (شارلمان) قاموا بإلغاء تدريس تلك المواد.

وحينما تسلم حفيد شارلمان زمام الحكم ويدعى (شارل) أرجع كل ما كان يدرس على عهد جده، وخلفه في نهج منهجه في النواحي الثقافية والتدريسية، وكلف أحد العلماء الإنجليز ويدعى (جون أريجينا) بوضع خطة للتدريس في تلك المدارس وكان (جون) يجيد العربية والعبرية واليونانية.

وتتمثل تلك الخطة التي وضعها (جون أريجينا) في إسناد مهمة التدريس إلى الأساتذة العرب، ومعم من درس العلوم الإسلامية وألم بها من المسيحيين واليهود، ولا يقتصر الأمر على ذلك بل إيفاد أعداد كبيرة إلى الأندلس لتلقي العلم على يد الأساتذة الأصليُون، والعمل على ترجمة مؤلفات العلماء المسلمون في مختلف المجالات إلى اللاتينية.

ولقد كانت هناك مدارس علمية عربية في أوروبا مثل مدرسة الطب في (سالرنو) الموجودة بإيطاليا، وهذه المدرسة كانت مركزًا من مراكز التعليم التي يأتي إليها الأساتذة المسلمون ليدرسوا بها، ومنهم قسطنطين الأفريقي الذي أخذ على عاتقه تطويرها، وهو من أصل عربي تربى في سوريا وولد في قرطاجة.

ونجد أن مدرسة (مونيلية) أسست في أوائل القرن الثاني عشر، وإن كان لا يعرف عن بدايتها شيء بالتحديد، إلا أنه يقال بأن جماعة من العرب واليهود اشتركت في تأسيسها لغرض تعليم اللغة العربية ونشرها.

واستمرت المدرسة تؤدي وظيفتها بجهود الأفراد والأساتذة العرب زمنًا طال أو قصر لا نعرف مداه على وجه الدقة، حتى أواخر القرن الثالث عشر عندما رفعها البابا (نيقولا) الرابع في ٢٦ أكتوبر سنة ١٢٨٩م إلى مرتبة جامعة وخصصها تقريبًا للعلوم الطبية، ولقد حققت هذه المؤسسة في الواقع حركة استعراب هامة جدًا أدت إلى نهضة كان لها شأن وأي شأن[٧٩].

وفي إيطاليا تم إنشاء مدرسة لتعليم اللغة العربية عام ١٢٠٧م، وكان لإنشاء هذه المدارس أثر كبير في تشويه صورة الإسلام؛ لأن هناك فئة من المدرسين النصارى واليهود المتعصبين والذين درسوا في الأندلس، أرادوا النيل من الإسلام بتخريج أجيال لا تعرف الإسلام الصحيح، بل تخرج وهي معتقدة أن الإسلام عدو لها.

وحصل التطور الأكبر عندما بدأت المواجهة بين الدولة العثمانية التي أسست عام ١٣٠٠م بعد سقوط الدولة السلجوقية وبين الدول الأوروبية، عندما استولى السلطان مراد على بلغاريا وصربيا (١٣٨٥ – ١٣٨٦م) وتفاقم خطر العثمانيين، فهبت أوروبا لقتالهم بجنود من المجر وبولونيا وفرنسا وألمانيا،

([79]) الدراسات الاستشراقية في ضوء العقيدة الإسلامية ص٢٥، عن حضارة الإسلام وأثرها في الترقي العالمي ص٥٢٣.

فقهرهم بايزيد في موقعة (نيقويوليس) ١٢٩٦م، وانتصر محمد الأول على أسطول البندقية في موقعة (غالييولى).

وفي عهد محمد الثاني سقطت القسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية، وحول كنيستها (أياصوفيا) إلى جامع عام ١٤٥٣م، واستمرت الدولة العثمانية في التوسع على حساب الدول الأوروبية، حتى حاصرت جيوشها (فيناً) عاصمة النمسا، والتي قرر فيها مجمع القساوسة تدريس اللغة العربية والدين الإسلامي في أنحاء أوروبا ١٣١١م، وقد بلغت حدود هذه الإمبراطورية العظمى من الدانوب إلى دجلة ومن القرم حتى شلال النيل الأول[٨٠].

وأدى ذلك إلى اهتمام الغرب بتدريس اللغة العربية في معظم الجامعات والمدارس، وإنشاء مدارس وجامعات متخصصة لمثل تلك الدراسات الإسلامية.

وبالرغم من هذه الجهود لفتح المدارس العربية، إلا أنه لم يحصل التوسع فيها إلا بعدما أدرك النصارى الأوربيون أن استعمال السيف لن يوصلهم إلى ما يريدون؛ لذلك فكروا في وسيلة أدهى وأمر من السيف، وهي تبنى فتح المدارس وإنشائها في كل مكان من أوروبا لإعداد وتخريج مبشرين متضلعين بمعرفة الإسلام وأهله؛ حتى يتمكنوا من تنصير المسلمين وتشكيكهم في دينهم.

وذلك عندما أقتنع القساوسة بذلك الأسقف (ريموند لول)، الذي أشار على ملك (ميورقة) بإنشاء كلية الثالوث المقدس سنة ١٢٧٦، فبفضل جهوده قرر مجمع (فينا) سنة ١٣١١م برئاسة البابا (كلمنتس الخامس) بتأسيس مدارس تدرس فيها العربية والعبرية والكلدانية في كل من: (باريس) و(أكسفورد) و(بولون) و(سلمنكة)، أي في عواصم العلم في فرنسا وإنجلترا وإيطاليا وأسبانيا؛ ليتخرج منها الوعاظ والدعاة.

---

(80) الدراسات الاستشراقية ص٥٨، عن المستشرقون ١/ ٦٢- ٦٣.

ثم كثر إنشاء الجامعات في الغرب، وكان تأسيس أول جامعة في أوروبـــا الوسطى في (كراكو) من مدن بولندا سنة ١٣٦١م، وبعد أربع ســـنين أنشـــئت جامعة (فينا) وهي أول جامعة ألمانية[٨١].

* * *

([81]) نفس المرجع السابق ص٥٧ عن محمد كرد على.. مقال في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق م ٧- ١٠/ ٤٣٤.

إنشاء المدارس في قلب العالم الإسلامي.

وجد المستشرقون أن التعليم أفضل وسيلة لغسل العقول، فنشروا المدارس داخل البلاد الإسلامية. ومن تلك المدارس (كلية روبرت) في إستانبول أو (الجامعة الأمريكية) في بيروت التي كانت تسمى (الكلية السورية الإنجيلية)، وهي التي أنشئت عام ١٨٦٥م وهي بروتستانتية، وهي كما يقول المستشرق (شتر): "إنها أرقى مدرسة في الإمبراطورية العثمانية، إن عمل الكلية التبشيري يتناول المسلمين في الدرجة الأولى، وهذا ما يجعلها بارزة في ذلك بين جميع المدارس الأمريكية في الإمبراطورية العثمانية وإيران؛ إذ هي تهيئ المدرسين المبشرين للمدارس الأمريكية المنتشرة في الشرق الأدنى كله"[٨٢].

ويوجد أيضًا في لبنان (جامعة القديس يوسف) وهي جامعة بابوية كاثوليكية وتعرف الآن بالجامعة اليسوعية، وهناك الكلية الفرنسية في لاهور والمدارس الألمانية والإنجليزية والروسية، وغيرها الكثير والكثير المنتشرة في العالم الإسلامي باسم المساعدة في التقدم وإتاحة الفرص لأبناء تلك الدول للرقي في سلم التعلم[٨٣]. وللتنصير دور هام في إنشاء تلك المدارس التي تشوش على المبادئ الأساسية للإسلام التي يعرفها الطلاب، وتزوير الحقائق ومحاولة تخريج جيل يدين لهم بالولاء.

يقول المنصِّر (هنري جب): "إن التعليم في مدارس الإرساليات المسيحية إنما هو واسطة إلى غاية فقط، هذه الغاية هي قيادة الناس إلى المسيح وتعليمهم حتى يصبحوا أفرادًا مسيحيين"[٨٤].

---

(82) الدراسات الاستشراقية ص١٣٧، عن التبشير والاستشراق حملات وأحقاد ص٤٣.

(83) الدراسات الاستشراقية في ضوء العقيدة الإسلامية ص١٣٨.

(84) توطين التنصير في إندونيسيا ص٧، عن أحمد عبد الوهاب حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر، مكتبة وهبه بالقاهرة ١٩٨١م ص١٦٦.

ولقد ساهمت تلك المدارس في زيادة نسبة المغتربين عن الإسلام والموالين للغرب النصراني وهم مسلمون اسمًا، وسنأخذ إحدى البلدان كمثل وهي إندونيسيا فلقد بلغ عدد المدارس التنصيرية أيام الاحتلال ثلث المدارس الموجودة، وبعــد الاستقلال تم إنشاء الكثير من الجامعات.

ولقد فرض عليهم -الطلاب- حضور مادة الدين النصراني، والذهاب إلى الكنيسة في يوم معين للمشاركة في القداس الديني الذي يقام فيها، كما يُمْنعــون من إقامة صلاة الجمعة[٨٥].

* * *

---

(85) توطين التنصير في إندونيسيا ص١٨.

التعليم من خلال المدارس

وجد المستشرقون في التعليم مدخلاً هامًا لغسل عقول أبناء المسلمين؛ لـذا عمدوا على إنشاء المدارس والجامعات في قلب العالم الإسلامي وأيضًا في العالم الغربي، وكانت تلك الفكرة مأخذها ما خطط لها المبشر والمستشرق (رامـون) في الكتابين الذي قدمهما للبابا (سلستين الخامس)، وجاء فيهما خطته التبشـيرية التي تتضمن التبشير عن طريق التعليم في المدارس، وإذا لم تنجح تلك الطريقة فعليهم بتنصير المسلمين بالقوة، وتم تنفيذ الخطة في اتجاهين:

أولهما: إنشاء المدارس الإسلامية في قلب العالم الغربي.

كانت تلك المدارس تهدف إلى تخريج مستشرقين ومبشرين والمناصـرين لهم من بني جلدتهم، ولما فتحوا الباب لأبناء المسلمين هدفوا إلى أناس ينتمـون إلى فكرهم أو على الأقل معجبون بحضارتهم وحياتهم فهم صنع أيديهم، وبعـد إنهاء دراستهم يعودون على بلادهم -العالم الإسلامي- ينشرون مـا تعلمـوه، وبذلك يحققون للمستشرقين ما يعجزون عنه فعله في سنين طوال، ولا تقتصـر الدراسة في هذه المعاهد والجامعات على الطلبة الغـربيين، بـل تقبـل تلـك المؤسسات عددًا من الطلبة الشرقيين تسخرهم لخدمة أغراض علمية تعود عليها بفوائد جمة، كإعداد دراسة عن لهجة من لهجـات بلادهـم أو دراسـة حالـة اجتماعية[٨٦].

فنجد مثلاً في جامعة (جورج تاون) بواشنطن مركزًا للدراسـات العربيـة والإسلامية المعاصرة، يتضمن عدة مقررات تتناول القضـايا التراثيـة خـلال الفترات الوسيطة والحديثة، وهناك أيضًا في (واشنطن) معهد لدراسات الشـرق الأوسط، وهناك معهد آخر يضم عددًا من المتخصصين بشئون الشرق الأوسط

([86]) العلاقة بين التنصير والاستشراق من حيث النشأة والأهداف ص٧٩، عـن الاستشـراق والمستشرقون وجهة نظر د/ عدنان محمد وزان ص٤١- ٤٢.

في (نيو جرسي)، وفي جامعة (أنديانا بلمنقتن)، وجامعة (ميتشـجان أنـاربر)، وجامعة (كليفرونيا) بلوس أنجلوس، وجامعة (لندن) و(إكسـفورد) و(بـاريس)، وغيرها الكثير والكثير[٨٧].

ولست هنا ضد من يريد تلقى العلم في تلك البلاد التي تقدمت علميًّا، ولكني ضد من يريد تلقى العلوم الشرعية واللغة العربية من جامعاتها، دون أن يكـون مؤهلاً تأهيلاً كاملاً، فمسألة غسل العقول هناك أمر يعتمدون عليه فـي تأهيـل الطلاب المسلمين، ويأتي ذلك عن طريق تعليمهم قضايا تاريخية وعقائدية ملوية الحقائق وأحيانًا مزورة تمامًا، وبذلك يتلقى طالب العلم المسلم حقـائق مشـوهة وممسوخة، وكان من المفروض أن يكون هؤلاء الطلاب يشرف عليهم أسـاتذة مسلمون، مهمتهم تصحيح تلك الحقائق المشوهة، وذلك إذا وجدت فائدة لدراسـة طلاب المسلمين في جامعات الغرب، وأيضًا كذلك الحال بالنسبة لطلاب العلـوم التكنولوجية والعلمية، فعلى البلاد الإسلامية أن تقف بجانبهم، وأن تتابعهم فـي كل ما يقابلونه من قضايا تطرح عليهم وهم لا يفقهون فيها شيئًا، فعلينا أن نأخذ منهم العلوم المادية أما الشرعية فهذا هو الخطأ بعينه.

وإنه لمن الخطأ الفاحش أن ترسل الجامعات الإسلامية بعثاتها إلى مدارس الاستشراق؛ لأن هذه البعثات هي الصلة الوثيقة المباشرة التي تربط بين مدارس المستشرقين والجامعات العربية، وهي أيضًا الطريق الذي تأتينا منه نظريـاتهم وآراؤهم لتدرس في جامعاتنا وتندس في ثقافتنا، فتوجه العقول والقلوب[٨٨].

فهؤلاء الطلبة يدرسون الدين الإسلامي وعلوم اللغة العربية وتاريخهم على أيدي المستشرقين في تلك الجامعات، وإذا تخرجوا وعادوا إلى قومهم احتلوا فيما بعد مكانة الأستاذية في مؤسسات بلادهم، وقاموا بدور كبيـر فـي نشـر آراء

---

(87) الدراسات الاستشراقية في ضوء العقيدة الإسلامية ص١٣٤.

(88) نفس المرجع السابق ص١٣٤.

المستشرقين؛ لأنهم كانوا تلاميذ بررة لأساتذتهم الغربيين، ويفيد استعراض ما تركت جهود المستشرقين من آثار بالغة على مؤسسات البلاد الإسلامية في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين أن هؤلاء التلاميذ هم الذين مهدوا لهم طريق السيادة في العالم الإسلامي(٨٩).

ومن أوائل البعثات كانت بعثة الشيخ رفاعة الطهطاوي، الذي جاء حاملاً للواء فكر جديد انتقده الكثيرون وعلق عليه الآخرون، وادعى أن الرقص نوع من العياقة، وأن الرقص بما فيه من تلاصق للأجساد ليس فسقًا ولا فجورًا.

روي عن رسول الله ﷺ: **"لكل بني آدم خط من الزنى، فالعينان تزنيان وزناهما النظر، واليدان تزنيان وزناهما البطش، والرجلان تزنيان وزناهما المشي، والفم يزني وزناه القُبل، والقلب يهوي ويتمنى والفرج يصدق ذلك أو يكذبه"** صدق رسول الله ﷺ(٩٠).

ومن أفكاره التي جاء بها الشعوبية، حيث تحدث عن مصر الفرعونية، ونسى أن الإسلام يعترف بالمؤمن النقي، وأن فواصل اللون والجنس لا تعني في شيء، وليس هما الأساس لبناء دولة قوية، إنما الأساس هو الإسلام وهو الذي تقوم عليه الخلافة الإسلامية.

ومن الذين جاءوا بفكر جديد وثار حوله جدل كبير طه حسين، حتى أن بعضهم قال عنه: إنه مستشرق من أصل عربي، واتهمه البعض بأنه يحمل لواء المستشرقين، ومن آراءه الغريبة والمثيرة للجدل أنه يرى أن العرب قوم مستعمرون كالرومان والفرس.

ويعيب البعض على طه حسين في نشره لكتب رسائل إخوان الصفاء، وألف ليلة وليلة، وتعقبه لسير الشعراء المعرفون بالمجون، والذي خلص من

---

(89) نفس المرجع السابق ص١٣٤، عن بحث في مجلة البعث الإسلامي خليف أحمد النظامي العدد ٦ عام ١٤٠٣ ص٨٧.

(90) مسند أحمد (كتاب/ باقي مسند المكثرين، باب/ المسند السابق) (٨١٧٠).

ذلك بأن القرن الثاني للهجرة كان عصر شك ومجون، وهنا نجده يعتمد على مصادر المستشرقين من اليهود، ومن ضمن تلك المصادر (أنساب الأشراف) المطبوع في الجامعة العبرية الواقعة تحت نير الاحتلال اليهودي، ومن آراءه إنكاره لشخصية عبد الله بن سبأ، وشكه بوجود إبراهيم وإسماعيل رغم ذكرهما في الكتب المقدسة[٩١].

والحقيقة إنني لا أرى عيبًا في طبع ألف ليلة وليلة ودراسة نوعية ما من الشعراء، ولكن القضية تكمن في إظهار نقد ما يطبع داخل الطبعة، فألف ليلة وليلة تحتوي على أفكار أسطورية تحمل الكثير من السموم الفكرية، التي قد تؤثر على عقول الأطفال والشباب، وأرى أن يجب علينا أن نتحرى الدقة في بحوثنا، أن لا تُبْنى على دراسات المستشرقين فقط دون عين نافذة ومنهج علمي سليم، ومعرفة اتجاه الكاتب ومصادره الأصلية الرجوع إليها، وبناء الدراسة أو البحث على المستشرقين فقط لا يعقل ولا يقبل لأمرين:

أولاهما: أنهم يعتمدون على المخطوطات الإسلامية في المقام الأول، ثم يفسرون ما يريدون تفسيره بطريقتهم، ويلون عنق الحقائق ثم ينسبوها إلى التاريخ والتراث الإسلامي.

وثانيهما: أن الكثيرون منهم أعلن عداءه الصريح لأمتنا ولتاريخنا ولتراثنا، فماذا ننتظر منه في كتاباته سوى التزوير لصالح فكره المعادي، ومنهم من يعلن عداءه بالمودة، وذلك أيضًا يزوِّر ما يكتبه بشكل خفي خبيث.

ومن مناهجهم الاعتماد على المعارضين والخارجين، وهنا ينبني رأيهم على رأي واحد معادي، وهذا لا يقبل في بحث يتصف بالأمانة العلمية والتاريخية الصادقة دون تحيز.

([91]) راجع الغزو الفكري للعالم الإسلامي، الإسلام في وجه التعريب، مناهج المستشرقين في ضوء العقيدة الإسلامية.

ويقول الدكتور بركات عبد الفتاح دويدار: "إن هؤلاء الذين جاءوا إلينا كأساتذة لا يتصفون بالنزاهة المطلوبة لأمرين:

أولاً: الأحقاد التي ورثوها.

ثانيًا: المهمة التي جاءوا من أجلها وهي سياسية وتبشيرية قبل كل شيء.

كيف يمكن لأستاذ يأتي من أوروبا – وعقيدته نسبية الأخلاق – أن يكون أستاذًا لقوم مصدر أخلاقهم الوحي إذا كان أسلافنا قد ارتكبوا خطأ، فإننا يجب علينا أن نراجع أنفسنا عندما نرسل أولادنا ليتخصصوا في علوم خاصة بنا ولا يعرفها غيرنا؛ هل يليق بنا ونحن مسلمون وعرب أن نرسل أولادنا إلى قوم من المسيحيين اللاتينيين ليتخصصوا في اللغة العربية والفلسفة الإسلامية بل في علم الكلام والفقه والأصول"(٩٢).

إن ذروة نشاط الاستشراق كان إنشاء كليات وأقسام للدراسات الإسلامية في جامعات غربية لمنح الشهادات العالية (الماجيستير والدكتوراه) لطلاب الشعوب الإسلامية والعربية في العلوم الإسلامية واللغوية، وقد استغل المستشرقون تلهف أبناء الشرق إلى الشهادات والألقاب، فصيروا أنفسهم مصدرًا وثيقًا للعلوم الإسلامية، وأشعروا بعض المسلمين بهذا لهم، حتى في علوم دينهم وأفقدوهم الثقة بأنفسهم؛ إذ تعلقوا بتعلم العلوم حتى علوم دينهم من عدوهم وسجلات الخريجين الذين درسوا على أيدي المستشرقين النصارى أو اليهود شاهدة على ذلك، ومما يزيد الأمر سوءًا أن الغالبية العظمى من هؤلاء الخريجين يتولون مناصب عليا وهامة وقيادية في كثير من دول العالم العربي والإسلامي(٩٣).

---

(92) الدراسات الاستشراقية في ضوء العقيدة الإسلامية ص١٣٦، عن كتاب الحركة الفكرية ضد الإسلام أهدافها... مقاومتها.. د/ بركات عبد الفتاح دويدار ص٩٦ الطبعة الثانية ١٩٨٠، دار التراث العربي للطبع والنشر، القاهرة.

(93) العلاقة بين التنصير والاستشراق من حيث النشأة والأهداف ص٨٥، عن د/ حسين صابر الدين عز الاستشراق... نشأته... وأهدافه ص٣٢.

واستغلت الولايات المتحدة الأمريكية اتفاق التبادل الثقافي مع مصر عام ١٩٥٩م لتزيد من نشاطها الاستشراقي داخل مصر بسهولة ويسر، ودافعًا لكثير من المؤسسات الاستشراقية الأخرى في الغرب ومنها:

١- مؤسسة فولبرايتا.

قامت هذه المؤسسة بتنظيم برامج تبادل الأساتذة، وتقديم المنح للطلبة في مصر وأمريكا[٩٤]، تمهيدًا لتغريب عقول الطلبة المبتعثين؛ ليكونوا أبناء بررة لأساتذتهم ومربيهم.

ومن أنشطة هذه المؤسسة أن تقوم لجنة عربية نصرانية وأمريكية مشتركة في بداية خريف كل عام، باختيار (٥٠) طالبًا من خريجي الجامعات المصرية الذين تؤهلهم قدراتهم ودرجاتهم العلمية من استكمال دراساتهم العليا في الجامعات الأمريكية، على أساس ما تقدمه المؤسسة من منح دراسية، بالإضافة إلى أن المؤسسة تسهل الفرص المالية والمعنوية للباحثين العرب والمحاضرين منهم للسفر إلى الخارج لاستكمال بحوثهم، أو لإلقاء محاضرات في عدد من الجامعات الأمريكية.

والجدول التالي يوضح ما قدمته المؤسسة قبل ربع قرن من منح وتسهيلات:

٤٧ طالبًا يدرسون في أمريكا على نفقة المؤسسة.

٧ طلاب يدرسون في أمريكا قدمت لهم مصروفات السفر.

٣ طلاب اشتركوا في برنامج كفيلاند للشباب.

٩ أساتذة مصريون زائرون.

٨ أساتذة مصريون دفعت لهم نفقات السفر فقط.

١٥ أستاذًا أمريكيون زائرون.

---

(94) العلاقة بين التنصير والاستشراق ص٨٥.

٢٥ منحة دراسية[٩٥].

وقدمت المؤسسة في عام ١٩٦١م لمصر واحد وعشرين أستاذًا للتدريس في الجامعات المصرية كلهم أمريكيون، ووزعتهم بين الجامعات المصرية على النحو التالي:

٩ أساتذة لجامعة الإسكندرية.

٨ أساتذة لجامعة القاهرة.

٣ أساتذة لجامعة أسيوط.

أستاذًا لجامعة عين شمس[٩٦].

مؤسسة روكفلر.

ومن المؤسسات الأمريكية التي تهتم بالنواحي العلمية والتعليمية مؤسسة روكفلر، وكان من نشاطات هذه المؤسسة أن قدمت مِنحًا لبعض المعاهد العلمية في أفريقيا وفي الشرق الأوسط بمقدار (٣٤ ألف دولار) لدراسة الفن الإسلامي في عام ١٩٥٨م، وفي خلال الربع الثاني من عام ١٩٥٩م قدمت منحة مالية بمبلغ (٢٤٠ ألف دولار) لكلية الطب في الجامعة الأمريكية ببيروت، و(٢٧٣٠ دولار) لمكتبة جامعة الخرطوم، و(٥ آلاف دولار) لوزارة خارجية لجمهورية التونسية لاقتناء كتب عن العلاقات الدولية. وعرضت على مصر منحتين: الأولى لمعهد الإدارة العالي؛ والأخرى للجنة التخطيط القومي وقدرها (٢٧٥ ألف دولار)، وقدمت مبلغ (٤٥ ألف دولار) للطبعة الجديدة من دائرة المعارف الإسلامية[٩٧].

مؤسسة فورد.

---

(95) نفس المرجع السابق ص٩٤.

(96) نفس المرجع السابق ص٩٥، عن دور المؤسسات الثقافية الأمريكية في الشرق العربي، جلال الحمامصي ص٣٨.

(97) نفس المرجع السابق ص٩٥، عن نفس المرجع ص٣٩.

وهي مؤسسة يختص بمعظم منحها المجلس الأمريكي، وهو اتحاد يضم في مجموعة أربعًا وعشرين هيئة علمية للدراسات الإنسانية، ومن أنشطة هذه المؤسسة أن أصدرت سلسلة لتراجم بعض المؤلفات العربية الحديثة صدر منها باللغة الإنجليزية عشرة كتب من بينها:

- مستقبل الثقافة في مصر.. للدكتور طه حسين.
- عبقرية العرب في العلم والفلسفة.. للدكتور عمر فروخ.
- محمد عبده.. للدكتور عثمان أمين.
- من هنا نبدأ.. لخالد محمد خالد.
- الحركات الاستقلالية في المغرب العربي.. لعلال الفاسي.
- مختارات مذكرات محمد كرد علي.. للمؤلف[٩٨].

ومن كتب اللغة التي نشرتها المؤسسة على نفقتها:

(تطور لغة الباشتو، وكتابه اللغة الفارسية الحديثة، وعلم النحو الكردي، نطق اللغة المصرية العامية، تواتر مفردات معينة في الأدب العربي الحديث)[٩٩].

وبلغ ما قدمته مؤسسة فورد في عام ١٩٦٣م من منح مالية حوالي سبعة ملايين وربع المليون دولار، خصَّت بها الجامعات والمنظمات لتنمية الدراسات الدولية فيها، فأصاب الشرق الأوسط وشمال أفريقيا نصيبًا كبيرًا منها، وخصَّت المؤسسة مصر والعراق ولبنان وسوريا بمليونيين وثلاثة أرباع المليون من الدولارات للأغراض التعليمية والثقافية والاقتصادية[١٠٠].

([98]) العلاقة بين التنصير والاستشراق ص٩٥، ٩٦، عن نجيب العفيفي المستشرقون ١٢٧/٣.

([99]) نفس المرجع السابق ص٩٦، ٩٧.

([100]) العلاقة بين التنصير والاستشراق ص٩٥، ٩٦، عن نجيب العفيفي المستشرقون ١٢٧/٣.

الصحف والمجلات

سلك المستشرقون كل الوسائل الممكنة في نشر أفكارهم التي عنيت بتشويه صورة الإسلام في الغرب، وزعزعة الثقة بالإسلام في نفوس عوام وأنصاف المثقفين في الأمة الإسلامية؛ لذا سلك المستشرقون مسلك إنشاء ونشر الصحف والمجلات.

وعن عدد المجلات الاستشراقية جاء في جريدة المسلمون الدولية: "أكدت الأعضاء الذين اشتركوا في ندوة الإعلام الإسلامي التي عقدت في جامعة الكويت، بضرورة التصدي لصحف التبشير التي تعتمد تشويه الحقائق عن الإسلام، ونبهوا إلى أن المستشرقين يملكون الآن ٣٠٠ مجلة استشراقية متخصصة وموجهة ضد الإسلام، ولا بد أن تقوم الصحف والمجلات الإسلامية بتوضيح المفهوم الإسلامي والرد على افتراءات وادعاءات الصحف التبشيرية"[١٠١].

ومن أخطر المجلات الاستشراقية.

١- مجلة العالم الإسلامي (The muslim warld).

عنت هذه المجلة بالتزوير في التراث الإسلامي، وهي من أخطر المجلات الاستشراقية الأمريكية، وسلكت المجلة مسلك التبشير تصدر باللغة الإنجليزية من (هارتفورد) وأنشأها المبشر (زويمر) عام ١٩١١م.

٢- مجلة جمعية الدراسات الشرقية.

تصدر من (جامبر Gambier) بولاية (أوهايو Ohio)، أنشأها المستشرقون الأمريكان وتوزع في أوربا.

٣- مجلة الشرق الأوسط.

---

[101] الدراسات الاستشراقية في ضوء العقيدة الإسلامية ص١٤٠، عن جريدة المسلمون الدولية ص٤، السنة الأولى العدد ٢٦ بتاريخ ١٤٠٥/١١/١٧.

مجلة سياسية تصدر من أمريكا، ولكنها اهتمت بتشويه صـــورة الإســـلام والمسلمين في كثير من المقالات.

٤- مجلة العالم الإسلامي (Le Monde Muslamam).

تصدر من فرنسا وهي مجلة تبشيرية وتوزع في جميع أنحاء العالم.

٥- مجلة الجمعية الملكية الآسيوية.

تصدر من بريطانيا ١٨٣٤م.

٦- مجلة عالم الإسلام.

تصدر عن الجمعية الشرقية الألمانية للدراسات الإسلامية أسسها المستشرق (هارتمان)، وتطبع كل ثلاثة أشهر وتوزع في (برلين) (ليبرج) (ليدن) ١٩١٣.

٧- صحيفة العلماء.

تصدر من باريس عن جمعية العلماء الفرنسيين كل ثلاثة أشهر.

٨- مجلة تاريخ الأديان.

تصدر من باريس ١٨٨٠.

٩- المجلة الآسيوية.

تصدر عن الجمعية الآسيوية الفرنسية.

١٠- مجلة شئون الشرق الأوسط.

تصدر من أمريكا يكتب بها عدد من المستشـــرقين المعـــروفين بعـــدائهم للمسلمين بوجه عام وللعرب بوجه خاص، وهي تعنى بمجال السياسة.

١١- مجلة الدراسات الإسلامية.

تصدر من باريس، يشارك في الإشراف عليها المعهد الفرنســـي بدمشـــق، ومعهد الدراسات الإسلامية بباريس، وعهد بالإشراف إلى (لـــويس ماســـينيون) وتصدر كل ثلاثة أشهر.

١٢- مجلة الإسلام.

تصدر عن معهد اللغات الشرقية بجامعة هامبورج ١٩٢٠.

١٣- مجلة المشرق.

تصدر عن الآباء اليسوعيِّين بلبنان، وهي التي سنتحدث عنها لاحقًا إن شاء الله.

هذه هي بعض المجلات التي عنت بتشويه صورة الإسلام والمسلمين قديمًا، أما اليوم فلقد شاعت الصحف بشكل أكثر وأكبر ولبست لباسًا جديدًا، إما لباس السياسة أو لباس المنهج العلمي أو الاستشراقي الواضح كما كان.

وانتشرت الإذاعات والقنوات التليفزيونية التي تنشر تلك الأفكار، وما زال المسلمون يغطون في النوم ويتغنون بأمجادهم، ويلهثون وراء أولئك الحاقدون على الإسلام بحجة أنهم أصحاب حضارة متقدمة، وكأننا عاجزون عن السير في طريق العلم والتقدم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وأثمرت تلك المجلات وباقي الوسائل عن خلق جيل جديد في العالم الإسلامي، ممسوخ الفكر مشوش العقيدة، وهذا هو ما يريدونه، وفي العالم الغربي أناس لا تعلم عنا سوى أن العالم الإسلامي ما هو إلا قوم همج يلبسون الجلابيب ويتيهون في الصحراء.

* * *

* *

*

الفصل الثالث

من نماذج التزوير

* مجلة المشرق.
* جرجي زيدان.

نشأة مجلة المشرق

تصدر مجلة المشرق عن الآباء اليسوعيين الكاثوليكيــة باللغــة العربيــة، ويديرها آباء كلية القديس يوسف ببيروت بعد أن أخذت موافقة البابوية بروما.

تم إنشاؤها في عهد السلطان عبـد الحميـد الثـاني فـي ١٩٩٨/١/١م – ١٣١٥هـ، وتوقفت عن الصدور نهائيًا في ١/ ٦/ ١٩٧١م.

والجدير بالذكر أنها ظهرت في وقت بداية الاستعمار، وقد لعبـت المجلـة دورًا كبيرًا في مساعدة الاستعمار والترويج له.

كانت تصدر كل خمسة عشر يومًا لمدة عشر سنوات ثم أصبحت كل شهر، وذلك من أول سنة ١٣٢٥هـ بعد أن رأى الأب (لويس شـيخو) أن صـدورها شهريًا بحجم أكبر؛ سيحقق نجاحًا وإتاحة الفرصة للأبحاث والمقالات المطولة.

يقول لويس شيخو في العدد الأول: "وكان لنا من أقوى أسباب التنشيط على العمل كتابة تفضل علينا بها في غرة كانون الأول (الكردينال لدكوسكي) وكيـل (البروبغنرا)، ينبئنا عما أثارت هذه البشرى في جناته من الفـرح والسـرور، ويثبت لنا (سامي رضا) الكرسي الرسولي السـيد (كـرلس دوفـال) الجزيـل الاحترام هذا الرقيم من يده بيدي لنا التهاني، ويقيم الأدعية لنجاح مسعانا"[١٠٢].

ولقد اتخذت المجلة مسلكًا غاية في الخبث، فلقد بـدأت فـي أول الأمـر بالاستشهاد بالآيات والأحاديث وأقوال العلماء من السلف والمحدثين، ثم بدأت في الكشف عن وجهها القبيح.

حملت المجلة على عاتقها كاهل التصـدي للبروتسـتانتية، التـي كانـت إرساليتها تملأ البلاد وخدمة المشروعات الاستعمارية لفرنسا، وتحقيق أهـداف البابا في روما.

([102]) تاريخ الصحافة العربية ١٠٨/٤.

والمعروف أن نصارى لبنان كانوا النافذة التي دخل منهـا المستشـرقون للعالم العربي لخدمة أحلام الغرب الاستعمارية، وتشويه صورة الإسلام، وورد على لسانهم في مجلة المشرق، يقول شيخو: "هذا وإن اسم مجلتنا الجديدة ينطق بنفسه عن غايتنا، ويقوم مقام لائحة مطولة؛ إذ آثرنا باختياره أن نبـين لأهـل الوطن إن جل مرغوبنا التحري لكل الأبحاث المتعلقـة بالشـرق والطوائـف الشرقية وتفضلها على ما سواه؛ لئلا يقال: إن الغريب أدرى بما في البيت مـن أهله لا سيما، ولا نزال نرى كثيرين من الأجانب يعكفون على تتبع أخبار بلادنا، واستيطان أحوالها، وكشف مكنون أسرارها؛ فدعوا لذلك بالمستشرقين"[١٠٣].

ومن أهداف المجلة تشويه الحركات الإسلامية وتجميـل صـورة الغـرب المستعمر، وإظهار المسيحية بمظهر الديانة التي تدعوا للعلم، ونسوا ما فعلتـه الكنيسة الكاثوليكية في العصور الوسطى مـن اضـطهاد العلمـاء ومعـاقبتهم بالتعذيب والحرق وإقامة محاكم التفتيش.

قامت المجلة بحملة إعلامية تدعوا فيها إلى إحياء القوميات التي كانت سببًا كبيرًا في فرقة المسلمين، وتضمنت الحملة نشر الأفكار الفاسدة لترسـخها فـي أذهان الشباب المسلم.

* * *

([103]) المشرق ج١ ص٣.

مؤسسوا المجلة.

لويس شيخو:

هو: رزق الله بن يوسف بن عبد المسيح بن يعقوب بن عبد المسيح شيخو، ولد في ٣/ ٧/ ١٨٥٩م – ١٢٧٥هـ!!!

وموطن ميلاده ماردين بالجزيرة التركية، ثم انتقل إلى لبنان ودرس في مدرسة الآباء اليسوعيين في غزير وسلك مسلك الرهبانية اليسوعيّة.

عمل مدرسًا للآداب العربية في الجامعة اليسوعية، وكان عضوًا في مجمع اللغة العربية بدمشق، أجاد شيخو العربية واللاتينية والفرنسية كتابة وقراءة، ويعرف العديد من اللغات كالإنجليزية والإيطالية والعبرية والتركية والسريانية واليونانية.

ولقد استطاع أن يحصل على كثير من المخطوطات العربية النادرة التي أمدته بها المراكز العلمية في الغرب، واستطاع أن يدرس طريقة أساتذة الغرب في البحث والتأليف وسار على نهجهم.

منهجه وفكره:

اعتمد لويس شيخو في أسلوبه على تزوير الحقائق، والاستنتاج الذي يعتمد على الخيال، ولم يكن يملك ملكه إبداعية في كتاباته، ولقد شهد أناس من بنو جلدته أنه كان شديد التعصب لمذهبه.

أصدر حوالي مائة وعشرين مؤلفًا بين تأليف وتحقيق، ومن أهم تلك الكتب الآداب العربية في القرن التاسع عشر، الذي تضمن أن أخبار علماء المسلمين قليلة متضعضعة، وطلب من القراء أن يرشدوه إلى ذلك، ومن ناحية أخرى أظهر العلماء من النصارى وسرد أخبارهم وأظهر شخصياتهم.

وفي كتابه (شعراء النصرانية) خلص باستنتاج خيالي ليس له أساس من الصحة بأن شعراء الجاهلية كلهم من النصارى.

تحدث عن ذلك تلميذه (مارون عبود) حيث قال: "ولما سمعنا بكتاب شعراء النصرانية وأتينا به، فإذا هو لهذا العلامة الجليل، وإذ بكل ما عرفناهم من شعراء الجاهلية قد خرجوا من تحت سن قلمه نصارى، فلقد كان التعميد بالماء فإذا به أصبح بالحبر"[١٠٤].

وألف كتابًا بعنوان (أطرب الشعر وأطرب النثر)، جمع فيه قصائد الشعراء المتطفلين على الشعر، وهو بذلك يسهم في الهبوط بالذوق العام للشباب العربي، ويريد أن يدخل نمطًا جديدًا في الشعر لشعراء لا يستحقون لقب شاعر.

ولم تسلم كتب التراث العربي من تحريفاتهم، ومن تلك الأمثلة أنه قام بنشر كتاب فقه اللغة للثعالبي، وحذف منه الآيات الكريمة والأحاديث الشرفية، وواجه بذلك حملة انتقاديَّة من علماء الشرق، ولقد كان يريد باللغة العربية وبأهلها شرًا.

جاء في مجلة المشرق: "فبلغ منه فكره الثاقب ونظره البعيد المرمى إلى وضع برنامج واسع، قضى خمسين سنة من حياته في تصميمه، فصار آلة في يد العناية الربانية لتهذيب اللغة العربية وتنصيرها لتصلح لتثقيف الناشئة، فتهافت عليها الطلاب ولا يجدون فيها إلا كل مؤلف أديب، وكتاب يرقى بهم تدريجيًا إلى مستوى تلامذة المدارس الثانوية في أوروبا[١٠٥].

وبعد أن أفنى حياته في خدمة المستشرقين والحاقدين على الإسلام بتشويه صورته وتزوير حقائقه، وإمداد المستشرقون بالمواد اللازمة لهم، وشارك في العديد من مؤتمراتهم، توفى في بيروت بعد عملية جراحية وعمره آنذاك يناهز السبعين فنعاه المستشرقون.

* * *

([104]) رواد النهضة الحديثة ص٢٢٥.

([105]) المشرق ج٤ ص٢٦.

الأب هنري لامنس:

هنري يكوس لامنس:

ولد هنري لامنس في سنة ١٨٦٢م في مدينة غاندا في بلجيكا، وجاء إلى لبنان وهو في الخامسة من عمره.

تعلم في الكلية اليسوعية في بيروت، ثم وصل دير الابتداء في غزير في ٢٣ تموز سنة ١٨٧٨م، وظل به سبع سنوات يدرس اللغة العربية بفروعها من خطابه وبيان.

في عام ١٨٨٩م درس علم البيان، وبعد أربع سنوات درس التاريخ والجغرافيا، عمل بالتدريس في معهد الدراسات الشرقية سنة ١٩٠٧م التابع للكلية اليسوعية.

عمل رئيسًا لتحرير جريدة البشير، وتولى رئاسة التحرير لمجلة المشرق بعد لويس شيخو عام ١٩٢٧م.

فكره ومنهجه:

اعتمد لامنس على تغيير النصوص والتمويه والتدليس، وعرف عنه عدم النزاهة، فهو غير أمين في نقل النصوص، حتى أنه كان يشير إلى أحد المراجع العربية وعند الرجوع لا نجد ما أشار إليه، وهذا نوع من أنواع التلفيق البيِّن، وأحيانًا يفسر النص على هواه، ويزيد كلمة أو ينقصها لتخدم ما يريد من أفكار، وهو شديد التعصب ضد الإسلام والمسلمين، ويستخدم أسلوب التزوير والتلفيق بشكل كبير وواضح.

ومن افتراءاته البينة أنه ادعى أن كتب الحديث موضوعة من أجل تمجيد النبي ﷺ.

حاول إلصاق التهم للمسلمين العرب ليظهرهم بمظهر مشوه ممسوخ، ومن ذلك أنه سلب العرب صفة الحلم وألصقها بالمسيحية في مقاله الحلم عند العرب محاولات في تحديده.

ويقارن بين العربي والمسيحي فيقول: "ونحن نكتفي باثنين منها دلالة على الفرق بين الأموي "الحليم" وبين رجل وديع كالقديس (فرنسيس سالس) مــثلاً". وهو يقصد بالأموي سيدنا معاوية.

ومن أبرز القضايا التي تبنها الدعوة إلى التفرق بين العــرب واللبنــانيين، وكأنه يريد أن يقول: "إن الإسلام والعرب دخلاء على لبنــان، فدعوتــه إلــى الفينيقية ملأت مجلة المشرق تحت ستار تاريخ لبنــان والبحــث عــن آثــاره، واستخدم أسلوب الفرق بين عادات الشعب اللبناني والعربي وكأن لبنان ليســت عربية.

يقول في مقالته: "ولا يخفي أن أهل لبنان أشبه الناس بالعرب فــي حســن الضيافة"[١٠٦]. وهو بذلك يريد الوصول إلى الفصل بين لبنان والعرب.

وفي مقالات أخرى يرى أن أصول الشعب اللبناني يتميزون عن العــرب، جاء ذلك في مقالاته التي تتحدث عن تاريخ بيروت، ففي مقالة له بعنوان "هيــا على درس تاريخ بلادنا" يحث الشعب اللبناني على الانفصال عن العرب بدرس تاريخ مجد بلادهم القديم خوفًا من فقدان هويتم فيقول: "أو ليس من أعظم دواعي حب الوطن أن يقف المرء على مجد بلاده القديم؟ وهل يحيا ذلك المجد الأثيــل إلا بدرس التاريخ"[١٠٧].

وحاول أن يرد كل شيء في الإسلام إلى المسيحية، ففي مقالة له في دائرة المعارف تحت مادة إنجيل لــ (كاري موكس) يقول: "ولقد لفتني الأب لامــنس إلى أن الحديث الذي يروي أن أبا بكر استعبد عندما سمع عظة النبي ﷺ يرجع إلى أصل مسيحي، فإن هبة الدموع المعروفة في التصوف المســيحي لا تتفــق كثيرًا وخلق العرب الفاتحين[١٠٨].

([106]) المشرق ج١ ص١٣٧.

([107]) المشرق ج١ ص٢٦١.

([108]) دائرة المعارف الإسلامية ج٤ ص٥٧٦.

موقف المجلة من القضايا والمؤسسات الإسلامية ونماذج من التزوير

موقفها من كتابات المستشرقين:

عملت مجلة المشرق على ترويج الفكر الاستشراقي، واعتباره الفكر الذي يستند على حقائقه، وأما عن بعض المستشرقين الذين أنصفوا الإسلام والمسلمين، فقد هاجموهم ونقدوهم وجرحوا كتاباتهم.

يقول لويس شيخو عن المستشرقين ممجدًا لهم: لله در المستشرقين ما أعظم كلفهم بأخبار شرقنا العزيز وأشد تنقيرهم عن لغاتنا وآدابنا وعلومنا القديمة[١٠٩].

وحينما ترجمت دائرة المعارف الإسلامية إلى اللغة العربية، وعلق علماء المسلمين على بعض المقالات بالنقد وكشف الحقائق المزورة، كانت لمجلة المشرق موقفًا يبين مدى حرصها على نشر الفكر الملفق والمزور، حيث أبدت إعجابها بأنه عمل جيد، ولكن التعليق يجعلها ضخمة فتصبح أكبر من حجمها في اللغة الأجنبية، ثم إنه لا توجد فائدة من ذكر المصادر للمقالات الموجودة في النسخة الأجنبية؛ لأن القارئ العربي لن يستفيد منها، فذلك عمل المتخصصين والمتوسعين الذين يريدون درس المواد بحذافيرها[١١٠].

وسبب اعتراضهم على ذكر المصادر للمقالات في الترجمة العربية؛ لأن أكثر المصادر في الحقيقة إما مزور أو مأخوذ عن شخصيات اشتهرت بعدائها للإسلام أو للشخصيات الإسلامية.

هكذا كانوا يسعون جاهدين لنشر الافتراءات للطعن في الإسلام؛ ليشككوا المسلمون في دينهم، ولم يسلم المستشرقون المنصرون أو الذين أنصفوا قضية ما من قضايا الإسلام أو حتى مال ميلة إلى الحق بإشارة منهم.

([109]) المشرق ج١ ص٥٢٤.

([110]) انظر مجلة المشرق ج٣٢ ص١٥٩.

وعلى سبيل المثال فقد اتهموا (لويس مالي سيدليو) بأنه عظَّم اكتشافات العرب الفلكية وغيرها، وأنه بخس حقوق اليونان[١١١].

واتهموا نفس المستشرق في مؤلفة (تاريخ العرب) بقولهم: إنه رمى الكلام على عواهنه وشط في مزاعمه، وقد خدع بكتاباته المصريين فنقلوه إلى العربية، ظناً منهم أنه من الآثار الفريدة[١١٢].

* * *

([111]) راجع مجلة المشرق ج١٢ ص٢٧٣.

([112]) نفس المرجع السابق ج١٢ ص٢٧٣.

موقفها عن حزب الاتحاد والترقي:

وبعد أن نجح حزب الإتحاد والترقي في الإمساك بزمام الأمور وهدم الخلافة الإسلامية، عبروا عن فرحهم في مجلتهم تحت عنوان (الدين والدنيا) عام ١٩٠٨م بقلم (لويس رتروفال اليسوعي).

قال: مخبر عما لقي هذا الانقلاب من الحظوة لدى العثمانيين، ولا حرج فقد سعدت به نفوسهم، وطربت ألبابهم، فاستقبلوه بالمظاهرات والأفراح، كما يتلقى العبد خبر تحريره والأسير نبأ فك أغلاله، أجل إن هذه الأمور لجليلة وتدعوا العقلاء إلى التروي والاستبصار في أحوال السنة المتصوفة، إلا أن أبناء الكنيسة يجدون فيها أيضًا ما يبهج أرواحهم ويؤيد آمالهم الطيبة، فإنها والحق يقال كانت لهم سنة سعيدة[١١٣].

واتخذوا أسلوب التزوير في التاريخ، حيث ادعوا أن حقوقهم كانت مهضومة في عهد الخلافة، وأنهم كانوا بلا وطن ولا مأوى.

والجدير بالذكر أن النصارى انقسموا قسمين:

القسم الأول: كان مع الإتحاد والترقي وهم اليسوعيون.

والقسم الثاني: كانوا مع القومية العربية، وهم النصارى المدعومون من بريطانيا وأمريكا، والتي تمثلهم الجامعة الأمريكية ببيروت وهم البروتستانت، ولقد تكونت الحركة السرية التي نادت بالقومية العربية منهم.

* * *

([113]) المشرق ج١٢ ص٤٨.

موقف المجلة من المستعمرين.

عمل الآباء اليسوعيون على التمهيد للاستعمار، فلقد كان ولاؤهم السياسي لفرنسا من أهم الأمور التي جعلت الاستعمار صاحب نفوذ في لبنان، وكانت مجلة المشرق لسان حالهم، ولقد انقسم نداءهم للاستعمار إلى مرحلتين:

المرحلة الأولى تمثلت في الاستتار ضمن القصص والمقالات الأدبية، وكانت وقتها تخشى السلطات العثمانية.

ثم أماطوا اللثام حينما اشتد مرض الدولة العثمانية، وأخذت تجاهد بكل ما تريد بوقاحة ومثال ذلك ما نشرته المجلة من أن مزرعة الآباء اليسوعيين قد ساعدت على إخفاء العمليات الحربية التي أعدها الجنرال (غودو) للزحف على دمشق، ويقولون: إننا لا نستطيع أن نتصور وطنيتنا تمام التصور دون أن تحتل فرنسا فيها مقام الشرف الذي تستحقه[١١٤].

ولقد دافعوا عن الاستعمار وعن بقائه، جاء في مجلة المشرق مقال بعنوان (المآثر الجغرافية) في سنة ١٨٩٧م.

يتحدث الكاتب عن أمور حدثت في أفريقيا ويعدها من المآثر، وهي أن الحملة التي قادها الماجور (دانيس) قد كلفوا بمحاربة أنصار المهدي في السودان، ولكنهم فشلوا في ذلك وقتلوا، وكان من ضمن من قتل ضابط يدعى (أنور) يقول عنه الكاتب: "أحد تلامذة مدرستنا الكلية الذي عرفه كثير من قرّائنا الكرام، وقد حسمت والحمد لله هذه الفتنة مؤخرًا، فأصيب كثير من العصاة وبدد شملهم[١١٥]. ويعني بالكلية هنا الكلية اليسوعية.

وهكذا يكشفون أنفسهم فهم يحاربون كل دعوة إسلامية وكل حركة إسلامية تريد أن تتحرر من الاستعمار، ويشاركون فيها بأنفسهم لحقدهم الدفين ضد

([114]) تطور الصحافة السورية عن جريدة النيزا، يناير ١٩٢٠ بتصرف.

([115]) المشرق ج١ ص١٦٠.

الإسلام و المسلمين، ومن هذه الحركات حركة المهـدي فـي السـودان الـذين اشتركوا في حملة لمحاولة القضاء عليها.

* * *

موقف المجلة من الجامع الأزهر:

كان الأزهر صاحب دور هام في التاريخ الإسلامي، فلقد خرج أجيال من العلماء والثوار الذين قادوا معظم الثورات الشعبية ضد المستعمرين.

علم أعداء الإسلام أنه القلعة التي تحافظ على التراث الإسلامي والمدافع القوي؛ لذلك عمدوا على محاربته بشتى الطرق، ولما فشلوا لم يجدوا سوى أن يتهموه بعدم المواكبة، محاولين إخراجه من منهجه إلى إتباع منهجهم بحيث يصبح مصبوغاً بصبغتهم.

في مؤتمر القاهرة عام ١٩٠٦ ناقش المؤتمر قضية الجامع الأزهر ومحاولة الحد من نشاطه بالطرق الممكنة، حاولوا ترويج مكرهم عن طريق الصحف والمجلات، وكانوا دائمًا ما يقارنونه بالجامعات اللاتينية.

جاء في مجلة المشرق: "إن الديار المصرية صارت منذ عهد قريب محط العلوم وموطن الآداب والفنون ولا سيما المحروسة، فإن العلوم الطبيعية والاختراعات الحديثة والصناعات الجديدة، ووسائل النقل والمراسلة بلغت فيها ما لا نراه إلا في العواصم العظمى؛ ولذلك عمدت الحكومة المصرية السنية إلى إدراج العلوم الطبيعية في سلك مواد التدريس المقررة في مدارسها، أما الجامع الأزهر فلم يغير خطته، وأبى الشيوخ إحداث شيء في طريقته التعليمية، فأصبح الخارجون منه مقصرين عن القيام بمهنة التدريس في مدارس الحكومة لقلة علمهم بالمواد المشروحة فيها"[١١٦].

ولقد حاولت تقليل شأن خريجي الأزهر؛ لأن الوظائف المتاحة لهم قليلة.

* * *

([116]) المشرق ج٤ ص٥٨-٥٩.

حركة الجامعة الإسلامية:

حاولت مجلة المشرق أن تقف موقفًا من كل مؤسسة أو دعوة تدعوا إلى جمع شمل العالم الإسلامي؛ لذلك عملوا على معاداة الجامعة الإسلامية وتشويه صورتها.

وادعوا أن الجامعة الإسلامية دعوة أتت لتستخدم حد السيف والقوة كما كان الإسلام يفعل، وأن الدين المسيحي لا يحتاج للوسائل البشرية من سلاح وتمدن لينشأ وينتشر.

ويقولون: "إن هذه النظرية لحقيقة بأن تلفت أنظار الدعاة إلى الجامعة الإسلامية"(١١٧).

ووصفوا الذين يدعون إلى الجامعة الإسلامية بأنهم أهل عنف، وأن الدعوة الحقة لا تحتاج لمثل هذه الأمور، فالحق يعلوا بذاته على القوة، وله في العناية الإلهية نصير وإلا فأي فضل لديانة قوامها السيف(١١٨).

وتناسي هؤلاء ما فعلوه في حروبهم الصليبية مع المسلمين ومذابح تقشعر منها الأبدان.

* * *

---

(117) المشرق ج٣٢ ص١٥٤.

(118) المشرق ج٣٢ ص١٥٤.

تفكيك العالم الإسلامي:

حاول اليهود والمستشرقون إحياء القوميات داخل العالم الإسلامي؛ حتى يتسنى لهم ضرب الخلافة الإسلامية وتفكيك عُراها وتصبح الدول الإسلامية متفرقة، فأحيوا الفرعونية في مصر، والبربرية في المغرب، والآشورية في العراق، الفينيقية في لبنان وغيرها.

وعملت على بث روح الفرقة بين المسلمين فدعت إلى فينيقية لبنان وسكانه، فتحت مقال بعنوان (مدفن بيروت الفينيقي): أن هذا الاكتشاف أثبت أنها هي بيروت الفينيقية(١١٩).

وحاولوا سلخ لبنان عن الأمة الإسلامية فيقول الكتاب: واستدلوا ببعض الكلام الغلط عن فن الملاحة القديمة، وأنه يكفي ليدل على فضل بلاد فينيقيا في تلك الصناعة(١٢٠).

ومن الطرق التي استخدموها في ذلك دراسة تاريخ المنطقة والبحث والتنقيب عن آثارها.

وحاولت المجلة إذكاء نار الشعوبية ففي ج ٣٢ ص ٤١٦ تذكر القراء بالماضي في عهد الدولة العباسية.

ولقد اتخذت أسلوبًا ينم عن حقد دفين وفن راقي في أساليب التزوير، فلقد بدأت تظهر مزية كل جنس على الآخر، واستشهدت بآيات من القرآن والسنة وشعر العرب.

فيقول أحد كتابها محاولاً إيقاظ تلك الشعوبية: "وبالكيل الذي تكيلونه به يكال لكم ويزاد".

هكذا لعبوا دورا هاما في فرْقة المسلمين.

---

(١١٩) راجع المشرق ج١ ص٩٢.

(١٢٠) راجع المشرق ج١ المقالات التي تتحدث عن الفينيقية.

والجدير بالذكر أن الإنجليز هم الذين شجعوا العرب على الأتراك، وهم الذين حاولوا بث الفرقة والخلاف، ولم يكن التشجيع سوى استغلال العقول الضعيفة والغير واعية، والعقول التي إن صح التعبير صنعوها في بلادهم، وذلك لتحقيق أمرين:

الأول: هدم الإسلام كما يظنون وهم بإذن الله لا يقدرون.

والثاني: من أجل أحلامهم الاستعمارية.

ولقد ساعد اليسوعيون الاستعمار الفرنسي بفرض سيطرته على الشام، واستخدموا كل الطرق ليتعامل المسلمين مع الاستعمار، وبدأو بحجة حماية نصارى لبنان، ثم حاولوا أن يضفوا شرعية على الاستعمار، وأن التعامل مع تلك الدول يجيزه الدين والعقل، وتحت عنوان: (حاضر العالم الإسلامي نظر انتقادي) بقلم الأب (نوفل) قال: "ونحن شعارنا الوطنية فإذا ما حل بين ظهرانينا أجنبي معلمًا أو ضيفًا أو سيدًا، علينا الاتفاق معه طبقًا لظروف الإمارة، ودفعًا للشر الأعظم، وليس في ذلك خيانة نحو الوطن، بل واجب يوجبه العقل والدين"[١٢١]. ثم استشهد بقول عيسى عليه السلام كما زعم: "أعطوا ما لقيصر لقيصر". ثم استشهد بمعاهدة (سفرو نيوس) بطريرك القدس عندما عاهد عمر بن الخطاب على صيانة حقوق البلاد.

وهو يحاول أن يقول: "إن تعاملنا مع المسلمين يوم أن فتحت القدس، فلماذا لا يتعامل المسلمون مع الغرب اليوم".

وهذه الشبهة عليه لا له، أو ليس من الأولى أن يتعامل مع الدولة التي راعت حقوقه وظل آمنًا تحت حمايتها؟

وتناسى أن القوانين الوضيعة المستمرة من القانون الفرنسي جعلت جزاء من يخون الوطن ويتعامل مع الأجنبي الشنق.

([١٢١]) المشرق ج٣٢ ص١٠٤٧.

وورد في الكتاب المقدس نص العقوبة فيقول: "وإن لم تسالمك أي قرية، بل حاربتك، فحاصرها وإذا دفعها الرب إليك إلى يدك، فاضرب جميع ذكورها بحد السيف".

* * *

المجلة وموقفها من التاريخ الإسلامي:

أخذت المجلة على عاتقها تغيير الحقائق التاريخية الإسلامية، وتلفيق حقائق أخرى تخدم أفكارهم السامة تارة، وتارة أخرى تعرض الحقيقة بشكل ملتوٍ بحيث يصبح المعنى غير صحيح، واهتمَّت المجلة بتشويه الكتب التاريخية الإسلامية، وحاولت إظهار تاريخ إسلامي ممسوخ ومشوه لا يتفق مع الحقيقة الأصلية، فكانت تقف ضد الكتب التاريخية الإسلامية بالنقد والتجريح، وباتهامها بأنها غير صحيحة وذلك بغير دليل.

ومن جهة أخرى زورت الحقائق التاريخية في كيفية تعامل النصارى مع المسلمين، فلقد رفعت من شأن النصارى وأعلت مكانتهم واستبدلت الحقائق الثابتة بتاريخ مزور، ومن ذلك ما أدعته من أن النصارى تساهلوا مع المسلمين، وأن كثير من الملوك النصارى تركوا الحرية للمسلمين حينما استولوا على سواحل الشام وبيت المقدس، كما فعل الباباوات في أم المدائن مع اليهود وأنهم أقطعوا لهم الإقطاعيات(١٢٢).

وادعت المجلة أن الإسلام انتشر بالسيف، أما المسيحية كانت عكس ذلك ولعلها انتشرت بالإقناع وذلك ما جاء في مقالتهم: "لا قهر في الدين وسارت المسيحية على ذلك المبدأ في كل أطوار حياتها، فإن منشئها لم يدع البشر إليه بالسيف والاغتصاب لجنود يقتحمون البلاد بل كحملان بين الذئاب(١٢٣).

وحاولوا التشكيك في السيرة النبوية وفي مصادرها وصحة نقلها منذ العصر الأول قالت: ثم كان القرن الثاني فأخذ الإسلام فيه وفي القسم الكبير من القرن الثالث يستجمع أمره ويعيد النظرة الأخيرة في تأليف سيرة الرسولﷺ(١٢٤).

([122]) راجع مجلة المشرق ج ١٢ ص ٢٠٨- ٢٠٩ بتصرف.

([123]) المشرق ج ١٢ ص ٢٠٦- ٢٠٧ بتصرف يسير.

([124]) المشرق ج٣٢ ص٩.

وطعنوا في سيرة الصحابة وشككوا في وجود بعضهم أصلاً، ومثال ذلك ما ادعته المجلة عن سلمان الفارسي ﷺ.

فقالت: لقد شك كثير من المستشرقين في وجود سلمان وما ينسب إليه، وقد أتانا الأستاذ (ماسينون) بمحاضرة مليئة بالمعلومات المتراكمة المزدحمة، حتى الغموض على أنها تعيد النظر في تلك المشكلة، وتبرهن على أن سلمان وجد حقيقة، وأن من يطلع على ما نسبته الفرق الشيعية إليه لا يعجب إذ يرى هذا الدور يرتقي في نظام النصيرية الديني وأنه كاد بلوغ درجة الألوهية(١٢٥).

ثم تقول المجلة مشككة في الحديث وتدوينه: كان القرن الأول للإسلام عصر اتساع وفتوح صرفت فيه قوى المسلمين إلى العمل والجد الخارجين، حتى لا يمكننا أن نتخيل خالد بن الوليد أو عمرو بن العاص أو زياد بن أبيه أو الحجاج يهتمون بالمناظرات الكلامية أو جمع الأحاديث(١٢٦).

وادعوا أن الفقه الإسلامي مأخوذ من القانون الروماني، وأنه تابع ليس له شخصية مستقلة، وألصقوا التهم للشخصيات الإسلامية وقللوا من شأنهم، فالإمام أحمد في نظر المجلة لم يكن في بادئ الأمر إلا محدثًا بسيطًا، ولكن مذهبه توصل إلى أن يعتبر مذهبًا فقهيًا(١٢٧).

ويُعتبر صلاح الدين الأيوبي العدو اللدود للنصارى؛ لذلك تعرضت له المجلة بالنقد والتجريح وإلصاق التهم الباطلة له، وتغيير الحقائق التاريخية التي تمسه، ومن ذلك أنها وصفته بأنه كان مستبدًا فتقول: ولما استبد السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بالسلطة في أواسط القرن السادس للهجرة أبطل الخطبة في الجامع الأزهر(١٢٨).

---

(125) المشرق ج٣٢ ص١٤١، ١٤٢.. بتصرف.

(126) المشرق ج٣٢ ص٩.

(127) راجع مجلة المشرق ج ١٢ ص٩.

(128) المشرق ج٤ ص٥١.

وحاولوا إظهاره بمظهر المفسد فيقول المستشرق (فان بركم): "وأمر صلاح الدين بقطع التدريس في الجامع الأزهر، وشتت شمل الطلبة والمعلمين؛ لأنه كان على مذهب الشافعية وكان مذهبهم غير مذهبه، فضلاً عن أنه كان يرى منهم التعلق بالدولة الفاطمية ما كان يريبه[١٢٩].

ومن التهم التي لفقتها المجلة له أيضًا مظهرة أنه كان يعتدي على موتى النصارى، واتهامه بأنه قام بهدم قبر أم السيدة مريم عليها السلام، وأنه بنى المدرسية الصلاحية فوق أنقاض ضريحها.

* * *

(129) المشرق ج٤ ص٥١.

موقفها من اللغة العربية ومحاولة هدمها:

حاولت مجلة المشرق هدم اللغة العربية، العامل الأساسي في توحيد الأمة الإسلامية وهي لغة القرآن، فدعت الكتاب إلى الكتابة بالعامية وتدوين العاميات وإحيائها، وتعللت بأن ذلك لمعرفة أصول اللغة العربية.

تقول المجلة: يأنف أغلب الكتبة من استعمال اللغة العربية العامية لنشر أفكارهم وترويج مقاصدهم، على أن لهجة العوام في بعض الأحيان أقرب إلى نوال المرغوب وأقوى فعلاً في القلوب، فإن الأدباء يجدون فيه تفكه للأرواح، أما الجمهور فيرى صورة حياته اليومية وكلامه المطروق وأمثاله المعتادة، فتؤثر فيه أقوال الكاتب ومضامين تحريراته[١٣٠].

حاول أعداء الأمة هدم اللغة العربية، لكنهم لم يستطيعوا إلى ذلك سبيلاً؛ لأن القرآن الكريم يحفظ اللغة، وكان لمجلة المشرق دور كبير في ترويج اللغة الدارجة في لبنان بالثناء على الكتب التي صدرت باللغة العامية، وإظهارها بمظهر المعبر عما يريد الإنسان أن يقوله، أما العربية فاتهموها بالعجز في التعبير. جاء في المجلة لدكتور (هارتمن الألماني): أما اللغة الفصحى التي كتب بها الأقدمون، فما هي في نظر المجلة إلا لغة صناعية لا تفهمها العامة، متضمنة ألفاظًا لغوية وتراكيب وضعية واصطلاحات مبدعة، نقلوها بالترجمة عن كتب أجنبية، وربما قلدوها اللسان المترجم عنه على طريقة مغايرة لروح اللسان العربي[١٣١].

ودعت المجلة إلى تكوين جمعيات تقوم على جمع اللهجات وتدوينها، وتدعى أن هناك موانع تحول دون ذلك:

الأول: وهي عدم اهتمام الشرقيين بمثل تلك النوعية من الأبحاث[١٣٢].

---

(130) المشرق ج٥ ص٢٦١.

(131) المشرق ج١ ص٧٩١.

(132) المشرق ج ١ ص٧٩٣.

والثاني: أن الكتابة العربية عاجزة عن تصوير بعض الألفاظ العامية، وأن حروفها لا تكفي للقيام بمثل ذلك العمل[١٣٣].

وادَّعوا أن الحركات مشكلة كبيرة تقف عقبة أمام تحقيق الكتابة بالعاميـــة، فألفاظ العامة من الحركات لا تنحصر فيما يعبر به عن النحاة بـــالفتح والكســـر والضم، فإن لكل من هذه الحركات الثلاث طبقات شتى، ولكل طبقة درجـــات لا تحصى[١٣٤].

دعت المجلة القراء إلى إرسال مقترحاتهم وما دونوه من اللهجات العامية، ووضعت حافزًا لهم[١٣٥].

وألمحت المجلة إلى كتابة العربية باللاتينية، وقامت مطبعة الآباء اليسوعيين بالمساهمة بنشر الكتب بالعامية، ومنها كتاب (مرور في أرض الهناء ونبأ مـــن عالم البقاء) لــ (شكري الخوري) اللبناني، (وقواعد اللهجة اللبنانية) الســـورية للأب (رافئيل نخلة) الذي كتب فيه النصوص العربية بالحرف اللاتيني.

* * *

([133]) المشرق ج ١ ص٧٩٣- ٧٩٤.

([134]) المشرق ج١ ص٩٧٤.

([135]) المشرق ج١ ص٧٩٧.

المجلة والدعوة إلى الانحلال الخلقي للمرأة:

قضية تحرير المرأة من القضايا التي اهتم بها المنصرون والمستشرقون؛ لأنهم يعلمون أن فساد المرأة معناه فساد المجتمع، وفساد الجيل الصغير من الأطفال والشباب.

الأُمُّ مَدرَسَةٌ إِذا أَعدَدتَها أَعدَدتَ شَعباً طَيِّبَ الأَعراقِ

ومجلة المشرق أسهمت إسهامًا كبيرًا في عرض ونشر تلك القضية، واستخدمت أسلوب التزوير في عرض الأدلة، وذلك يتبين من خلال المقالة التي كتبها نداء إسلامي لتحرير المرأة بقلم المستشرق الأب (لامنس) وهو يستعرض كتاب باسم السفور والحجاب، وبأسلوبه الخبيث حاول إلصاق السفور إلى أنه نابع من التشريع الإسلامي وذلك بعنوان (نداء إسلامي)، وكأنه يريد أن يقول: إن السفور متصف بالشرعية.

ثم نجده يقول في تقديمه للكتاب: "إن المسألة لا تهم إلا المسلمون، ولهم وحدهم الحق في أن يفصحوا فوائد الحجاب ومضاره، ويعينوا مقدار ما ينالونه من الحرية لنسائهم"(١٣٦).

وحاول أن يعلي الدين المسيحي على الإسلام بإبراز أفضلية الدين المسيحي على الإسلام، وأنه أكمل وأفضل، وأن المسائل المتعلقة بالمرأة قد حلها الدين المسيحي، فجاءت حلولها في الإنجيل وقانون المدنية المسيحية، وذلك منذ حوالي ألفي سنة، وهو بذلك يحاول أن يقول: إن الإسلام بما فيه القرآن لم يستطع أن يقدم حلا لهذه المشكلة كما يراها هو وكأنها مشكلة عند المسلمين.

والجدير بالذكر أنه لو رجع بالذاكرة إلى عام ٥٨٦م، حيث عقد في فرنسا اجتماع في بعض ولاياتها ليبحثوا سؤالاً هامًا ويمثل مشكلة لهم، ويتمثل السؤال في: أتعد المرأة إنسانًا أم غير إنسان؟!

---

(136) مجلة المشرق ص٢٦.

وفي النهاية قرر المجمع أن المرأة إنسانًا ولكنها خلقت لخدمة الرجل[١٣٧].

وفي إنجلترا أصدر الملك هنري الثامن أمرًا بتحريم مطالعة الكتاب المقدس على النساء، كما أن النساء كن طبقًا للقانون الإنجليزي العام حوالي سنة ١٨٥٠ غير معدودات من المواطنين، ولم يكن لهن حقوق شخصية، ولا حق لهن في تملك ملابسهن ولا في الأموال التي يكتسبنها بعرق الجبين.

ثم يأتي في عرضه للكتاب بأدلة ينتقيها من بين الأدلة ليلوي عنقها ويغير معناها ويفسرها على هواه ومن ذلك.

إن الشريعة الإسلامية تعتبر المرأة نصف الرجل في مسائل الشهادة والإرث، وأما الرجل فله الحق في أن يتزوج بأربعة وهو التعدد وأنه يستبد بالطلاق، وذلك حينما يشاء دون رضاهن.

ثم يأتي بأدلة عقلية واهية لا أساس لها من الصحة؛ ليثبت كما يزعم أن الحجاب له مساوئ وأن السفور له مزايا متعددة.

* * *

---

(137) روح الدين الإسلامي ص٣٥٧.. بتصرف.

جرجي زيدان

جرجي زيدان نصراني الديانة أرثوذكسي المذهب. ولد في عام ١٨٦١ ولكنه لا يعرف ميعاد ميلاده بالضبط، ويرجع سبب ذلك لأن والداه لم يكونا يكتبان، ولم يكن القسيس يسجل المعمدين.

ذهب جرجي إلى المدرسة وهو في الخامسة من عمره، وإذا رجعنا إلى مذكراته فسنجده يتحدث عن مدرسته بشيء من الازدراء؛ لأنها كانت أشبه "بالحظيرة"، كما ذكر وانتقل بعدها إلى مدرسة خاصة به، وفي الحادية عشر من عمره تعلم جرجي مهنة صناعة الأحذية، وفي الخامسة عشر من عمره استطاع أن يتعلم اللغة الإنجليزية، وبفضل من تعرف عليهم من خريجي الكلية الأمريكية استطاع أن يصبح عضوًا بجمعية شمس البر التابعة لجمعية الشبان المسيحيين بإنجلترا.

عملت جمعية شمس البر على مساعدة جرجي في دراسته، فالتحق بالكلية الأمريكية ليدرس الطب ثم درس الصيدلة، ولكنه توقف عن الدراسة وهاجر إلى مصر ليكمل دراسته بالقصر العيني، ولكنه قطع دراسته وعمل بالصحافة، وفي ذلك الوقت كان الإنجليز يساندون النصارى المهاجرون من الشام والذين ينقمون على الخلافة العثمانية.

والمتتبع لحياة جرجي زيدان يجد موالاته للإنجليز، فلقد عمل معهم في العمل المخابراتي، وعمل مترجمًا لهم أثناء حملتهم المتجهة إلى السودان.

عمل بمجلة الزمان والمقتطف واستطاع أن يتعلم اللغة السريانية والعبرية، وانتدب للتدريس في الجامعة ولكنه رفض قبل بدء العام الدراسي، وتم تعيينه في المجمع الآسيوي الملكي.

اشترك مع نجيب متري في إنشاء مطبعة، ثم استقل بالمطبعة لنفسه ومن خلالها أصدر مجلة الهلال.

شواهد التزوير والتلفيق:

ذكر جرجي زيدان في كتابه (تاريخ التمدن الإسلامي) اتهامًا لعبد الملك بأنه استهان بالقرآن لما قال: "هذا فراق بيني وبينك وهذا آخر العهد بك".

ولقد فسر جرجي ذلك القول بأنه استهانة بالقرآن، وأنه كان يجاهر بالقوة، واتهمه بأنه كان يجاهر بالعنف.

والحقيقة أن عبد الملك كان رجل منقطع للعبادة، وهو أول من كسا الكعبة بالديباج، ولقد سئل ابن عمر عمن يفتيهم بعده، فأجابهم بأنه عبد الملك بن مروان. وهذا سر قوله فالحكم سيبعده عن انقطاعه للعبادة.

واتهم المنصور بأنه أراد استبدال الكعبة بمكة المكرمة بقبة خضراء في العراق؛ ليتحول المسلمين من حجهم لبيت الله إلى ما بناه المنصور، ولا يوجد دليل تاريخي يؤيد ذلك، وإنما استدل جرجي زيدان بخطبة أحد أعداء المنصور وهو محمد بن عبد الله بن الحسن، الذي ذكر فيه هدف بناء القبة بأنه تصغير للكعبة الحرام، والحقيقة أن المؤرخين لم يذكروا شيئًا عن ذلك، والحقائق التاريخية لا تؤخذ هكذا من مجرد رأي ليس له ما يسانده أو يعضده.

واتهم عبد الملك بأنه هدم الكعبة لما قاتل ابن الزبير، والحقيقة أن عبد الملك لما اضطر لقتال ابن الزبير ووضع الحجاج المناجيق، كان الهدم لما أزاده ابن الزبير ولم تكن الكعبة.

حاول جرجي زيدان أن يظهر المسلمين بمظهر الناقلين الحافظين، وأنهم ليسوا أهل عقل ومنطق؛ لذلك عمد إلى أن الفرس الذين أسلموا هم الذين استخدموا القياس العقلي في استنباط الأحكام الفقهية من القرآن والسنة، وبذلك خالفوا أهل المدينة المتمسكين بالتقليد.

والحقيقة أن فقهاء المدينة كانوا يستنبطون الأحكام، ولقد تتلمذ الإمام مالك على يد فقيه المدينة الذي كان مشهورًا بالإفتاء بالرأي وهو أبو عثمان ربيعة بن أبي عبد الرحمن، وكان قد أدرك بعض الصحابة ولقد أخذ عنه الإمام الشافعي.

اتهم بني أميه بأنهم كانوا يعاملون الموالي وأبناء الإمام معاملة بـــازدراء، وأنهم كانوا يولون المناصب الدينية الهامة للعرب فقط، ونسب هذا القول إلى ابن خلكان.

وهذا كلام كله كذب وافتراء فابن خلكان تحدث عن طاووس قائـــد مكـــة، والذي سار في جنازته الخليفة هشام بن عبد الملك الأموي، وتحدث عن يزيد بن أبي حبيب الذي بعثه سيدنا عمر بن عبد العزيز ليفقه الناس في مصر، وتحدث عن عطاء بن رباح الذي كان من الموالي وكان شيخ الحـــرم والمســـئول عـــن الفتوى.

واتهم معاوية بأنه التمس الخلافة بعد قتل عثمان، وأنه جاء بدهاة العـــرب ومنهم عمرو بن العاص الذي وعده معاوية بولاية مصر بعد أن عزله عثمـــان عن مصر فاحتال على أبي موسى. ويعتمد جرجي هنا على روايات مشـــكوك فيها، وعلى أحاديث ضعيفة لا سند لها.

وذكر أيضًا أن معاوية أمر بقتل النساء والصبيان من شيعة علي، وأرســـل إليهم (بسر بن أرطاة)، واعتمد هنا على مؤرخ شيعي وهو أبو فرج الأصفهاني صاحب كتاب الأغاني الشهير، ولا نجد مؤرخًا آخر ذكر هذه الحادثة سوى مـــا ذكره أبو فرج؛ لأنه شيعي، ونجد أن الطبري يخالف تلك الرواية.

ويدعي جرجي أن معاوية أمر بقتلهم ثم بسط النطوع عليهم وجلس فـــوقهم يأكل الطعام وهو يسمع أنينهم، وأعتمد هنا أيضًا على روايـــة مشـــكوك فيهـــا وظاهر أمرها الاختلاف.

وادَّعى أنه رمى المصحف بالنيل بعد أن مزقه، وتلك الرواية مأخوذة مـــن أبو الفرج الأصفهاني وقد ذكرنا سابقا أنه شيعي المذهب.

ولفق لسيدنا عمر بن الخطاب تهمة لا أساس لها من الصحة، وهي أنه أمر عمرو بن العاص بإحراق مكتبة الإسكندرية، واستدل برأي البغدادي والقفطي.

والحقيقة أن البغدادي كان ممن يكتب عن الناس دون سند ولا دليل، فهو يكتب ما يسمع، علاوة على أنه كان هو والقفطي في القرن السادس والسابع الهجري والحريق كان في القرن الأول، والقفطي ذكر الرواية دون سند ولا دليل ودون أن يعتمد على مصدر موثوق فيه أو حتى غير موثوق، فهو اتهام باطل لا أصل له ولا سند، ولقد أبعد الكثيرين من المستشرقين تلك الرواية، ومنهم (غوستاف لوبون) الذي قال: "وأما إحراق مكتبة الإسكندرية المزعوم فمن الأعمال الهمجية التي ترفضها عادات العرب والمسلمين، والتي جعلت المرء يسأل كيف جازت هذه القصة على بعض الأعلام زمنًا طويلاً؟ وإنه لا شيء أسهل لدينا من أن نثبت بما عندنا من أدلة واضحة أن النصارى هم الذين قاموا بحرق كتب المشركين في الإسكندرية قبل الفتح العربي الإسلامي[١٣٨].

ويقول (دربير) الأمريكي والمؤرخ الإنجليزي (جيبون) و(سديو) الفرنسي (١٨٠٨- ١٨٧٥م) و(كريل) الألماني والمعلم (رينان) الفرنسي (١٨٢٣- ١٨٩٢م) عن تلك الواقعة: إن الواقعة ليس لها عين ولا أثر في المراجع التاريخية الموثوق بها.

إن القفطي والبغدادي لم يذكرا مصدرا اعتمد عليه لهذه الرواية، ثم إن خزانة الكتب قد فقدت قبل الإسلام والفتح الإسلامي العربي، وقد أثبتوا ذلك بأدلة واضحة لا يمكن إنكارها[١٣٩].

* * *

([138]) منهج جرجي زيدان في دراسة الأتراك تاريخيًّا وحضاريًّا، إعداد غادة حسن العزب ص٦٤، عن غوستاف لوبون حضارة العرب ترجمة عادل زعتير، القاهرة ١٩٦٩م ص١٢٣.

([139]) نفس المصدر السابق ص٦٥، عن مقدمات العلوم والمناهج، أنور الجندي، دار الأنصار للنشر والتوزيع طبعة اولى. ١٩٧٩ ص٢٩٢. ٢٩٣

بعض شواهد التزوير في روايات جرجي زيدان:

ادَّعى جرجي في روايته عن صلاح الدين الأيوبي أن ست الملك أخت العاضد، وهذا غير صحيح بالمرة وليس له أي مرجع تاريخي يؤيده، غير أن ست الملك توفت قبل قيام الدولة الأيوبية بكثير.

وادعى أن العاضد استدعى صلاح الدين وأوصاه على أهل بيته، وذلك غير صحيح؛ لأن صلاح الدين رفض الذهاب إليه خشية أن تكون خدعة، فلما مات العاضد وعلم صدق نتيه ندم على عدم ذهابه وذلك ما ذكره ابن الأثير.

وفي روايته عن شجرة الدر: اتَّهم شجرة الدر بأنها كانت على علاقة مشبوهة مع عز الدين أيبك الذي ساعدها في الوصول للحكم.

وفي روايته عن الانقلاب العثماني حاول إلصاق التهم الملفقة للسلطان عبد الحميد، وإظهار إعجابه بجماعة الإتحاد والترقي، ولقد حاول تشويه صورة الخلافة العثمانية في تلك الرواية، وألصق تهمة قتل مدحت باشا للسلطان عبد الحميد مع أنه هو الذي تدخل لرفع عقوبة الإعدام عنه.

* * *

بعض شواهد التزوير في كتاب (مصر العثمانية).. لجرجي زيدان:

ألصق جرجي زيدان لقب الخائن لمحمد بك أبو الدهب، وأرجع ذلك لتعاونه مع العثمانيين، والجدير بالذكر أنه لم يلقب بهذا اللقب.

وأرجع سبب إسلام الأتراك وقت الدولة العباسية إلى الارتزاق، وأن سبب إسلام الأمير التركي مؤسس دولة السلاجقة طمعًا في الملك.

تحدث جرجي زيدان عن أوصاف السلطان سليم الأول عن طريق السماع لا عن طريق التحقيق، وأرجع أيضًا أصل الأتراك إلى رواية مشكوك فيها.

ومن الحقائق التي نقلها جرجي زيدان محرفة وغير صحيحة: "ليس في هذا اليوم جامكية؛ لأن البلاد خراب والعرب مشنته في الطرقات".

والصحيح هي "يا أغوات ما فيها اليوم جامكية البلاد خراب والعرب مفتته في الطرقات"[١٤٠].

* * *

* *

*

(140) منهج جرجي زيدان في دراسة الأتراك تاريخيًا وحضاريًا ص١٧٥، عن جرجي زيدان... مصر العثمانية، تحقيق الدكتور محمد حرب الهلال، القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٩٧ العدد (٥١٧) ص٦١.

الفصل الرابع

أساليب التزوير

* التزوير المباشر.
* التهكم والاستهزاء.
* الدس.
* اتخاذ الأقوال الدخيلة والضعيفة كدليل على التزوير.
* أسلوب التزوير بالنتيجة ورفض الأدلة الشرعية.
* الخطأ وتجاهل الحقائق.

الفصل الرابع

أسلوب التزوير المباشر

يحاول كثير من المستشرقين المتربصين بالعقيدة الإسلامية إظهار الشريعة والعقيدة الإسلامية بمظهر مشوه ممسوخ؛ حتى يتثنى لهم الطعن لإقناع بني جلدتهم بأن هذا الدين باطل، وزعزعة إيمان عوام وأنصاف المثقفين المسلمين.

ويتخذون أساليب شتى للوصول لذلك الغرض، وعلى رأس تلك الأساليب التزوير المباشر؛ بمعنى تغيير الحقائق وإلصاقها بالعقيدة أو الشريعة أو التاريخ الإسلامي، ومنهجهم في ذلك أخذ ما أثر عن أعداء الإسلام من الباطنية والشيعة، وغيرهما من المذاهب التي اعتبرت نفسها من الإسلام، وهي من صنع اليهود والنصارى أو الاعتماد على أقوال المستشرقين السابقين الذين لا يجيدون فهم مدلولات اللغة العربية، وكان التخمين والتخيل منهجًا من مناهجهم في التزوير والتشويه، والتراث الإسلامي لا ينفك عن اللغة والمستشرقون غرباء على اللغة.

كتب شيخ المستشرقون الروس وأقدرهم بإطلاق (كراتشوفسكي) إلى شقيقته يقول لها: "إن اللغة العربية تزداد صعوبة كلما ازداد المرء دراسة لها". أرجع إلى المقدمة التي كتبتها زوجته لكتابه (مع المخطوطات العربية) ترجمة الدكتور محمد منير مرسي قلت: "ما باللغة العربية من صعوبة! وكيف تزداد صعوبتها مع الأيام؟ وكلما ازداد دراسة لها؟ لكنه العجز الفطري والعجمة المورثة، فأنى يهرب منها (كراتشوفسكي) وأضرابه".

وإن كنت بعد في شك من أمر عجز المستشرق عن استكناه سر اللغة وإدراك كنه الثقافة، فسأضع بين يديك نماذج لما وقعوا فيه من أوهام غليظة نتيجة لهذا العجز المهين، منها: (شرح كارترمير) "الأحداث" بالغوغاء، وتفسير (كازانوفا)، لفظ "أمي" بشعبي، ومن ذلك ما وقع فيه المستشرق الألماني (براجستراسر) في تحقيق كتاب مختصر في شواذ القراءات لابن خالويه، حيث صحف كلمة أبي عمرو بن العلاء: "فقد تربع في لحته" وجعلها: "فقد تربع في الجنة" مع أن المقام مقام ذم[١٤١].

يقول (غوستاف لوبون): إن استقلال آرائنا في الواقع أمر صوري، ونحن لسنا أحرارًا فيما نخوضه من موضوعات، فما زال فينا الرجل القديم المجبول على الزمن، يروح يتألف من ماضي طويل وهو روح لا شعوري ينطلق في معظم الرجال، ويؤيد فيهم المعتقدات التي اعتقدوها ويملي عليهم آرائهم[١٤٢].

ولقد كان التزوير هو الأسلوب الأول للمستشرقين الأوائل؛ إذ أن تشويه صورة الإسلام والمسلمين كان الهدف الأكبر ليمهد لأهداف أخرى مثل الاستعمار، ووقف مد الزحف الإسلامي الذي يجد له أتباعًا دون عناء، وكان ذلك مبعث قلق لهم، والانقضاض على الأمة الإسلامية، ولما تحقق الاستعمار وتحقق لهم التغير الأخلاقي في العالم الإسلامي بشكل جزئي وليس كليًا كما يريدون، وأصبح لهم أذيالاً من النفوس المريضة يساعدونهم في تنفيذ خططهم بحجة المدنية وتخلف العالم الإسلامي وخلافه من الحجج الواهية، أصبح أكبر هدف لهم هو إمداد تلك الأذيال بكل الوسائل الممكنة ليصبحوا أصحاب نفوذ وأهل تأثير، وإظهار الناهجين لمنهج الفرنجة والعلمنة إن صح التعبير بمظهر المجددين المخلصين للأمة، ومحاربة كل صحوة إسلامية فكرية أو عسكرية من

([141]) المنهج في كتابات الغربيين عن التاريخ الإسلامي ص٧٤.

([142]) الدراسات الاستشراقية في ضوء العقيدة الإسلامية عن مفتريات على الإسلام ص١٢.

الداخل قبل الخارج، وهيهات هيهات أن يغلب الإسلام كما يتصورون؛ لأنه دين الله ﷻ سبحانه وتعالى وهو كفيلٌ بحفظه ونصره، أما المسلمون فإن تخلوا عن دينهم تخلي الله عنهم، وكانت الهزيمة نتيجة ما افترقت أيديهم وذلك ما هو حادث الآن.

ويقول محمد أسد المستشرق المسلم: "لا شك أن الأذى الذي جلبته الحروب الصليبية لم يقتصر على اصطدام استعملت فيه الأسلحة، بل كان أولاً وقبل كل شيء أذى عقليًّا نتج عنه تسميم العقل الغربي ضد العالم الإسلامي عن طريق تفسير التعاليم والمثل العليا الإسلامية تفسيرًا خاطئًا متعمدًا؛ لأنه إذا كان للدعوة إلى حملة صليبية أن تحتفظ بصحتها، فقد كان الواجب والضروري أن يوسم نبي المسلمين بعدو المسيح، وأن يصور دينه بأكلح العبارات كينبوع للفسق والفجور والانحراف عن الحق، وفي أيام الحروب الصليبية ذاتها تخللت العقل الأوروبي وبقيت فيه تلك الفكرة المضحكة القائلة: إن الإسلام إنما كان يدعوا إلى عبادة الشهوة وإلى القوة الوحشية، دينًا يدعوا إلى إقامة الشعائر الدينية بدلاً من تطهير القلب"[١٤٣].

وبعد أن تصدى المسلمون المخلصون لله سبحانه وتعالى للحملات الصليبية وهزموها شر هزيمة، وجد المستشرقون أن هناك من يحمل لواء الإسلام، وأنه لا يبالي بالحياة الدنيا وكل ذلك من أثر العقيدة الإسلامية التي لم يستطيعوا أن يهزموها، فازدادوا عنفًا وشراسة وواصلوا طريقهم في تبني قضايا التزوير في التراث الإسلامي من عقيدة وتاريخ وكتب، واعتقد البعض أن تلك الأكاذيب حقائق غائبة توصل إليها المستشرقون وتحمس هؤلاء السذج تحمسًا منقطع النظير لذلك المنهج، ومن الذين ساروا على ذلك المنهج الصريح في التزوير

---

(١٤٣) نفس المرجع السابق ص١٠٦. عن الطريق إلى الإسلام محمد أسد، ترجمة عفيف البعلبكي ص٢٢، ٢٣

الأب (لامانس) الذي يقول عنه رينيه: إن الأب (لامانس) في علم المشــرقيات كبطرس الناسك في الحروب الصليبية، وقد جهز بهمة لا تعرف الكلل صــليبية دعية في العلم طمعًا يصرع الإسلام صرعة لا قيام منها، كلما ذكرت الأحاديث والأخبار خلة حسنة ممدوحة في محمد ﷺ وصحابته، رأيته يؤكد أنهــم كــانوا مصابين بالعيوب المناقضة لتلك الخلال وبكلمة موجزة نقول: "إن طريقــة الأب (لامانس) تقدم على عكس المنقول عكسًا مطــردًا مقصــودًا، ولا يعــدل الأب (لامانس) عن هذا الأسلوب إلا حينما يجد أسلوبًا أشد مكرًا في سوق الخبر إلى معاني السوء[١٤٤].

والحقائق المزورة كثيرة وأمثلة ذلك:

ادعاء المستشرق (توراندويه) أن الأصول الإسلامية مأخوذة من اليهوديــة والمسيحية، وهذا ليس صحيح ولا يحتاج إلى جهد كبير لإثبات عدم صحته.

(وأندرسون) الذي يدعي أن سيدنا محمد ﷺ كانت أفكــاره مقتبســه مــن المسيحية والأساطير اليهودية ومصادر التلمود.

ويقول (كارل بروكلمان) في كتابه (تاريخ الشعوب الإسلامية): إن معرفــة الرسول ﷺ بالكتاب المقدس معرفة سطحية إلى أبعــد الحــدود، وأنهــا مليئــة بالأخطاء التي أتى ببعضها من الأساطير اليهودية الموجودة بالتلمود، وأن سيدنا محمد ﷺ مدين للمعلمين المسيحيين الذين عرفوه بإنجيل الطنولة.

وأما (برنارد لويس) فيدعي أن رواية النبي ﷺ للكتاب المقدس توحي بأنــه عرفه عن طريق التجار الرحالة من أهل الكتــاب الــذين تــأثروا بالأســاطير اليهودية.

ومن افتراءاتهم وتزويرهم في التراث ما ذكره (ماكس مــايرهوف) وهــو مستشرق ألماني: وبمطلع القرن الرابع عشر بدأت ممارســة الســحر والــدجل

([144]) نفس المرجع السابق ص١٧٤، عن مجلة المجمع العلمي العربي ١٣٢/٧.

تتسلل إلى أبحاث جمهرة العلماء المسلمين، التي صارت تستمد آراءها الطبية من الأبحاث الدينية، وبهذا دب الفساد في جسم العلم فانحط وسف عن مستواه العام الذي وصل إليه(١٤٥).

ويقول: إن الطاعون الأكبر الذي تفشى في القرن الرابع عشر والمعروف بالموت الأسود، أتاح الفرصة لأطباء المسلمين في أسبانيا ليحرروا أنفسهم من القيود الشرعية التي ترى الطاعون عقابًا إلهيًّا، فاجترؤوا على اعتبار هذا الداء عدوى(١٤٦).

وبعد أن ساق كلامًا لابن الخطيب القرطاجي رحمه الله في وصف العدوى التي وقعت من ذلك المرض يقول(١٤٧): وهذا تصريح متناه في الجرأة في أحلك أيام التزمت الديني(١٤٨). وهو بذلك يقلب الحقائق ويزورها، فهو يتهم الإسلام بالاستسلام والخضوع للمصائب وأنه يحض على الركون وذلك غير صحيح.

ومن المستشرقين الذين عنوا بتزوير التاريخ المستشرق الصهيوني (كراوس)، الذي أكب على دراسة الكيمياء عند العرب، وركز بحثه على رسائل جابر بن حيان في الكيمياء، وانتهى في بحث نشره ١٩٣٠م بعنوان (تحطيم أسطورة جابر بن حيان) إلى القول بأن الرسائل العديدة المنسوبة إلى جابر بن حيان هي في الواقع من تأليف جماعة من الإسماعيلية(١٤٩).

---

(145) الدراسات الاستشراقية في ضوء العقيدة الإسلامية ص١٠٥، عن تراث الإسلام، تأليف جمهرة من المستشرقين برئاسة سير توماس أرنولد، ترجمة جرجس فتح الله، طبعة ثالثة - دار الطليعة - بيروت ص٤٨٦.

(146) نفس المرجع السابق ص١٥٠، عن نفس المرجع السابق ص٤٨٧.

(147) الدراسات الاستشراقية في ضوء العقيدة الإسلامية ص١٥١.

(148) نفس المرجع السابق ص١٥١، عن تراث الإسلام ص٤٨٨.

(149) المنهج في كتابات الغربيين عن التاريخ الإسلامي ص٦٣، عن عبد الرحمن بدوي موسوعة المستشرقيين ٣٢٦

وهنا الخطر بعينه بحيث ينسب هذا المستشرق الصهيوني المجد لطائفة منحرفة عن تعاليم الإسلام، ويحاول الحط من شأن جابر بن حيان.

فإذا علمنا أن هذا المستشرق كان عضوًا في عصابة (اشترن) الصهيونية التي عملت مع زميلتيها (عصابة الهاجاناه) و(عصابة أرجوان زفاي) على إنشاء إسرائيل في سنة ١٩٤٨م، وذلك بالقتل والإرهاب وسفك الدماء.

ويرجح الدكتور عبد الرحمن بدوي وقد كان صديقًا لهذا المستشرق، ومساعدًا له في بعض أبحاثه أن السبب في انتحاره هو أن القرعة وقعت عليه لتكليفه من العصابة بقتل (اللورد موين) الوزير البريطاني المقيم في الشرق الأوسط، الذي خيل إلى عصابة (اشترن) أنه عقبة في سبيل النشاط الصهيوني لإيجاد دولة إسرائيل، بدعوى أنه يمالئ العرب أو في القليل يحارب الإرهاب الصهيوني ضد الإنجليز في فلسطين آنذاك التي كانت ما تزال تحت الانتداب البريطاني.

وتبعًا لذلك كان على (كراوس) أن يختار بين الاشتراك في عملية الاغتيال أو أن ينتحر وهو على الحاليين مقتول، فيبدو أنه آثر الاختيار الثاني -أعني أن يقتل نفسه بنفسه- بدلاً من أن يشترك في قتل (اللورد موين) مما سينجم عنه إعدامه أيضًا كما حدث لمن نفذوا عملية الاغتيال(١٥٠).

ومن الأساليب التي يتبعونها في التزوير قلب الحقائق الخاصة بالشخصيات المأخوذ عليها من علماء المسلمين، فيقول (آدم متنر) عن الحلاج: وأغلب ما انتهى إلينا من أخبار الحلاج ما ذكره خصومه، ويؤخذ من هذه الأخبار بوضوح أن الحلاج قد أثر في كبراء أهل بغداد تأثيرًا قويًّا نادر المثل، ويدل على عظم شأنه أن كل من الذهبي وابن الجوزي كتب عنه كتابًا خاصًا، ولكن يظهر أن

---

(150) المنهج في كتابات الغربيين عن التاريخ الإسلامي ص٦٣، ٦٤، عن د/ عبد الرحمن بدوي معجم المستشرقين ٣٢٥ – ٣٣٠.

هدين الكتابين قد فقدا مع الأسف ولم ينل هذا الشرف إلا القليلون بين رجال الإسلام(١٥١).

هكذا انقلبت الحقائق فيصبح الذم مدحًا، وما ألفه علماء الإسلام لبيان زيغ الحلاج يعتبر تمجيدًا له ورفعًا من شأنه؛ لأنه حظى بهذه المكانة من بين القلائل(١٥٢).

ألف المستشرق (فلوتن) كتابًا باسم (السيطرة العربية)، وعنى كثير من أساتذة التاريخ بترجمته، فترجم لأكثر من مرة على اعتبار أنه مرجع هام، والحقيقة أن ما به من زيف وتزوير يدل دلالة قاطعة على منهج المستشرقين في قلب الحقائق وتزويرها.

يقول الدكتور عبد العظيم محمود الديب: "ونحن نلتزم بهدفنا هنا، فلا يعنينا ما في الكتاب من تهجم على الإسلام والمسلمين، الذي لا يعدو أن يكون سبًا وشتمًا (بأسلوب أكاديمي)، وإنما يعنينا هنا جريمته في حق تراث أمتنا وكيف حرف المصادر والمراجع وزيفها وإليك هذا المثال، جاء في ص ٦٦ "ولقد أصابت الأسر المرموقة في الكوفة ثراء فاحشًا كان مصدره (المغانم) والأعطيات السنوية، فكان الكوفي إذا ما ذهب إلى الحرب يصطحب معه أكثر من ألف من الجمال عليها متاعه وخدمه". ثم نسب ذلك إلى الطبري.

وعلى البديهة نرفض أن يكون هذا الكلام في الطبري، فنحن نعرف الطبري رحمه الله إماما عالما مؤرخا محدثا فقيها، أو على الأقل عاقلاً يدري ماذا يقول، فكيف يذهب الجندي المقاتل إلى الميدان ومعه هذه الحاشية؟ وما يصنع بحمل ألف جمل من المتاع في الميدان؟ وإذا فرضنا أن الجيش كان عشرة آلاف

([151]) الدراسات الاستشراقية في ضوء العقيدة الإسلامية ص١٥١، عن الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري -آدم متز-، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة ٢/٦٥، الناشر دار الكتاب العربي- بيروت.

([152]) الدراسات الاستشراقية في ضوء العقيدة الإسلامية ص١٥١، ١٥٢.

مقاتل (وهذا تقدير متواضع) فكم عدد الجمال التي تحمل متاعهم؟ أليست أكثر من عشرة ملايين من الجمال؟ كيف يتحرك هذا الجيش؟ وأية طرق تسعهم وأية مياه تكفيهم؟ وأية مراع تطعمهم؟ وإذا سقط من الجيش بضع مئات أو آلاف من القتلى في الميدان، فأين تذهب الملايين من الجمال التي تحمل أمتعتهم؟!

لو قرأ أيَ عاقل هذا الخبر في أصح كتاب لاتهم صاحبه، أو على الأقل نسبه إلى الخطأ والوهم ورفض أن يحكي هذا الكلام أو ينقله.

ولكن المستشرق العظيم في غمرة اجتهاده لإثبات أن فتوحات المسلمين كانت انتهابًا لخيرات وثروات البلاد التي فتحوها، راح يجمع الأدلة من هنا وهناك ويلويها لويًا، ويزيفها تزيفًا إلا أننا ما كنا نتوقع أن يخرج بتزييفه إلى حد اختراع هذه الخرافة، التي لا شك أنه لم ينتبه إليها، فقد شهدت عليه لا له، وهل لذلك أصل في الطبري؟

إن عبارة الطبري تقول على لسان قيس بن الهيثم أحد أصحاب مصعب بن الزبير قبيل التحامه مع جيش عبد الملك بن مروان يرغب أهل العراق في القتال ويبين لهم حسن معاملة ابن الزبير لهم، ورفعه لمنزلتهم ومكانتهم: "والله لقد رأيت سيد أهل الشام على باب الخليفة يفرح إن أرسله في حاجة، ولقد رأيتنا في الصوائف وأحدنا على ألف بعير"[153].

ويقول الدكتور عبد العظيم محمود الديب: "ونعود إلى (فلوتن) وكتابه (السيطرة العربية) لنأتيك منه بمثال آخر، جاء في ص ٦٧ قوله: "وقد فرضت حالة الترف المتصاعدة هذه – يقصد الترف الذي أصابه المسلمون ثمرة للفتوح – تغطية دائمة لمواجهة متطلبات جديدة، وللجوء إلى الاستدانة كطريقة فذة من أجل إشباع رغباتهم. ثم أحالنا على الطبري: ١ / ٢٨١١، فماذا نجد في الطبري في هذا الموضع؟

([153]) المنهج في كتابات الغربيين عن التاريخ الإسلامي ص٧٦، ٧٧.

لم نجد في الطبري إلا خبرًا عن استدانة سعد بن أبي وقاص من بيت مال الكوفة، وكان خازن بيت المال عبد الله بن مسعود ﷺ وكان سعد والي الكوفة، فاستقضى عبد الله بن مسعود ﷺ سعدًا، واشتد في مطالبته فاستمهله سعد فلم يقبل، وكان بينهما تلاوم، ووصل إلى عثمان بن عفان رضي الله عنهم جميعًا فلامهما معًا وقال لهما: "أنتما أصحاب رسول الله ﷺ فكيف تتلاحيان هكذا أمام الناس". وعزل سعدًا وأقر عبد الله بن مسعود على عمله.

هذا هو ما ذكره الطبري، فكيف يفهم منه أي قارئ بل باحث ضليع يقتعد مقعد الأستاذية؟ كيف يفهم من هذه الحادثة أن الاستدانة قد صارت ظاهرة في المجتمع؟ وأنها أصبحت وسيلة فذة لإشباع الترف الذي شاع فيه؟ كيف يفهم هذا؟ وبأي منطق يقال هذا؟ وأي ترف كان في مجتمع الكوفة سنة ٢٦هـ، ثم ألا يتبادر إلى الذهن أن الحاجة والفاقة هي التي ألجأت سعدًا إلى الاستدانة؟ وهذا هو الواقع! ففيما كان يستدين سعد في ذلك الوقت؟ وفي أي مجال كان ينفق في ذلك الحين؟ فقد كانوا يعيشون عيش الكفاف!

ثم لو مد بصره قليلاً لقرأ في الأسطر التالية بقية القصة، وكيف أن سعدًا لشدة ألمه من عنف عبد الله بن مسعود وعدم رفقه وتأنيه به رفع يديه إلى السماء وقال: "اللهم رب السماوات والأرض". فقاطعه عبد الله بن مسعود قائلاً: "ويلك! قل خيرًا ولا تلعن". وخاف أن يدعوا سعد عليه، فقال سعد عند ذلك: أما والله لولا اتقاء الله لدعوت عليك كلمات تقطر تقوى وتندى بالحب والإخاء، ومواقف تنطق بالطهارة والتعفف". ولو قرأ بقية الصفحة لوجد أن الأمير الذي تولى بعد سعد على الكوفة مكث خمس سنوات وليس على داره باب! فأي ترف؟ وأي استدانة؟ ولكن هكذا بهذا التحريف وبهذا التزييف واستكره النص واستنطقه مالا ينطق به، وقال على الطبري ما لم يقل وقلب الحسنات سيئات[١٥٤].

---

(١٥٤) نفس المرجع السابق ص٧٩، ٨٠، ٨١.

جاء في كتاب (الإسلام وسيكولوجية المسلم) للمسمى (أندري سرفيى) وقد حرر مقدمته العنصري المتحيز، المسيحي المتعصب (لويس يرتزان).

يقول الكاتب: "إن ما يدعى بالحضارة العربية لا وجود له البتة، كظاهرة مبرزة للعبقرية العربية، فهذه الحضارة إنما أنشأتها شعوب أخرى كانت لهم مدينات قائمة قبل أن تستعبد قهرًا من قبل الإسلام، فاستمرت خصالها القومية في نمو برغم ما صب عليها الفاتح من ألوان الاضطهاد، ولم يساهم العنصر العربي فيها إلا بمقدار هزيل يكاد لا يذكر، فالكندي مثلاً وقد كان له صب عظيم في القرون الوسطى ولقب بالفيلسوف، لم يكن سوى يهودي من الشام اعتنق الإسلام، وما كُتاباته من الرياضيات والهندسيات والطبية والفلسفية وغيرها إلا مجرد نقل واقتباس من أرسطو وشراحه، وكثيرًا ما نسب استنباط الجبر إلى العرب، والواقع أنهم لم يكونوا إلا نسخة عملوا على نقل رسائل ديوفانطس الإسكندري، الذي كان حيًا في القرن الرابع للميلاد، وفي الطب أيضًا لا نجد طرافة ولا ابتكارًا، ورسائل أبي القاسم وابن زهر وابن البيطار، وثلاثتهم من أصل أسباني نسخ مطابقة بعض المطابقة للأصل أعني لمؤلفات جالينوس وهارون وأطباء الإسكندرية وقد تم نقلها عن طريق السريانية.

وما برع العرب إلا في الميادين التي لا تستدعي سوى القليل من الخيال كالتاريخ والجغرافيا.

وابن خلدون المولود في تونس كان من أصل أسباني، وأبقى العرب في الجغرافيا كتبًا لا شك طريفة، ومكنتهم قوة ملاحظتهم من تسجيل عدد من الإرشادات النفيسة، فنقلوا الواقع نقلاً أمينًا وفيًا، وكانت معظم رواياتهم صحيحة دقيقة"[١٥٥]. (من أراد الإطلاع على الرد فليرجع في مناهج المستشرقين).

([155]) مناهج المستشرقين ص٢٥ الجزء الثاني، آراء بعض المستشرقين حول التراث العلمي العربي والرد عليها، الدكتور محمد السويس.

ولكني أسوق جزءًا بسيطًا منه وهو كما يقول الدكتور محمد السويس: إن ابن خلدون كان عربيًّا حضريًّا، ولم يكن من أصل أسباني كما يقول قويتي، ولا هو بربري كما ينعته بعض العرب المقلدين لأهل الاستشراق[١٥٦].

* * *

---

(156) مناهج المستشرقين الجزء الثاني ص٢٤، ٢٥، آراء بعض المستشرقين حول التراث العلمي العربي والرد عليها الدكتور محمد السويس.

التهكم والاستهزاء.

في عصر نهض فيه الغرب وتقدموا على باقي الشعوب، وتملكوا أسباب القوة، وتطلعت إليهم الشعوب، وجدوا أن أسلوب التهكم والاستهزاء والسخرية من الحقائق الإسلامية أسلوبًا مناسبًا لقلب الحقائق وتزويرها.

وعن ذلك يقول محمد أسد المستشرق المسلم: "أصبح احتقار الإسلام جزءًا أساسيًّا من التفكير الأوروبي، ومن هنا كان اتجاه الفرنسيين إلى العمل على تشكيك المسلمين في دينهم وتحقيره في نفوسهم وتحميله تبعة ضعفهم، وقد وصلوا في ذلك إلى نتائج أكثر مما يتوقعون، وذلك عن طريق تسميم عقول المسلمين بما يقولونه عن الإسلام"(١٥٧).

ولقد حاول المستشرقون السخرية من الرسول ﷺ واللغة العربية والكعبة الشريفة والملائكة، وهناك من الأمثلة الكثيرة على ذلك، فلقد ادعى (موريس غودقروا) أن سيدنا محمد ﷺ حينما دخل مكة وطهر الكعبة من الأصنام أصبحت بيت الله الذي معنا أينما كنا. وهو بذلك يستعمل أسلوبًا استهزائيًّا بتسمية الكعبة بيت الله، ويشير بتساؤل خفي إلى كيف تكون الكعبة بيت لإله غير مرئي.

ويستعمل المستشرق (سيديو) أسلوب استهزائيًّا من نزول جبريل عليه السلام على رسول الله ﷺ، وجاء ذلك في كلامه الذي يتعجب فيه من الدين الإسلامي ويقول: إن جبريل جاء في زي أعرابي وسأل النبي ﷺ: **علامَ بُني الإسلام؟** فقال النبيﷺ: "**بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان". فقال سيدنا جبريل: "صدقت"**. ثم يعلق (سيديو) بقوله: وكان محمد يتحدث باسم الله لتصبح لتعاليمه أثر عظيم.

---

(157) الدراسات الاستشراقية في ضوء العقيدة الإسلامية ص١٥٣، عن كتاب مقدمات في العلوم والمناهج ١/ ٢٢١.

ويسخر (بريتو) المستشرق الفرنسي من اللغة العربية في كتابه المقرر على الطلبة الفرنسيين، ويدعي أنها لغة قد ماتت وأنها لاتينية العرب التي تستخدم في جنة محمد، ثم يستطرد كلامه بطريقة وقحة فيقول: سأحبب إليكم دراسة اللغة العربية في المستقبل إذا أردتم الاجتماع بالحور العين.

ويلمز أحد المستشرقين عن السيدة عائشة ﵂ ويقول: "ولم يثبت تمامًا وفاء زوجات محمد الكامل له، وكانت عائشة على الخصوص موضع قلق له، وأصبحت مرة موضع مقالة سوء، فشهد جبريل المحب للخير على الدوام بعصمتها فدونت شهادته في هذه المسألة الحساسة في القرآن فخطر الشك"[١٥٨].

وجاء في كتاب (عقائد الإسلام) للمستشرق الألماني (هرمان اشتيجلكر): "إن سيدنا محمد ﷺ رفض إزالة خاتم النبوة الذي كان عبارة عن انتفاخ بين كتفيه بعملية جراحية؛ لأنه كان يريه للزائرين وهو سعيد ومهتم بذلك".

وواضح في ذلك الكلام موضع التزوير عن طريق سخريته، فهو يحاول إظهار أن خاتم النبوة عبارة عن ورم، ولكن الرسول ﷺ كان يتباهى به وذلك أمر باطل، ولقد ذكر معظم العلماء أن خاتم النبوة لم يكن شيئًا منتفخًا، وإن كان كذلك فهو ليس ورمًا كما يدعي ذلك المزور الخبيث.

ويقول (فيليب): "حتى إن خاتم النبوة الذي رآه الراهب بحيرى أسطورة تعكس العلاقة بين الديانتين".

ويقول (غوستاف لوبون): "والجبرية الشرقية التي قامت عليها فلسفة العرب ويستند إليها كثير من مفكري الغرب في العصر الحاضر، هي نوع من التسليم الهادئ الذي يعلم به الإنسان كيف يخضع لحكم القدرة من غير تبرم، وتسليم مثل هذا وليد مزاج أكثر من أن يكون وليد عقيدة، والعرب كانوا جبريين

([158]) الدراسات الاستشراقية في ضوء العقيدة الإسلامية ص١٥٥، عن حضارة العرب ص١٦٤.

بمزاجهم قبل ظهور محمد، فلم يكن لجبريتهم تأثير في ارتقائهم كما أنها لم تؤد إلى انحطاطهم[١٥٩].

ولم يكن القرآن الكريم بعيدا عن سخريتهم التي يتخذونها منهجا لتشويه الحقائق وتزويرها.

فهذا (آي دبليو لين E. W.Lane) يترجم ما يسميها مختارات من قرآن محمد في جزئيين طُبعا عام ١٢٥٩هـ - ١٨٤٣م، فيها بيان للعقيدة الإسلامية من التوحيد والنبوة والوحي والآخرة والملائكة والجن والجنة والنار والإيمان والكفر والقدر.

يقول الأستاذ عبد الله عباس الندوي عن أسلوب هذا المستشرق في هذه الترجمة: "تكلف المترجم ما لم يكن في وسعه إذا أراد البحث عن مراجع محتويات القرآن الكريم فيقول عن بعض الآيات: إن محتواها مأخوذ من الأساطير الرائجة بين أهل مكة، وهذه القصة التي ذكرها القرآن سمعها محمد من علماء النصارى بمكة، وهكذا وعندما لا يجد المقدرة على الاختلاف في بيان المراجع المزعومة؛ لأن معنى الآيات تتعارض معارضة صريحة ومعتقدات اليهود والنصارى والمشركين جميعًا، يتساءل من أين جاء محمد بهذا، ولكنه ينتبه إلى أن عجزه عن تعيين المراجع لبعض الآيات قد يحمل الآخرين على إجلال شخصية الرسول واعتبار القرآن منزلاً من الله، فيحاول أن يستخف بتلك الآيات ويسقط قيمتها في عين القارئ فيقول: إنها من قبيل رد الفعل الفكري الذي طرأ على محمد في وقت كذا أو لأسباب كذا"[١٦٠].

---

(159) الدراسات الاستشراقية في ضوء العقيدة الإسلامية ص١٥٥ عن حضارة العرب ص١٦٤.

(160) الدراسات الاستشراقية في ضوء العقيدة الإسلامية، عن ترجمات معاني القران الكريم وتطور فهمه عند الغرب، تأليف عبد الله عباس الندوي ص٥٤٧ طبعة أولى ١٣٩٢هـ - الناشر مكتبة الإرشاد جدة.

يقول (كلود ليفي شتراوس) في كتابه (بئس المدارين): "الإسلام دين يرتكز على عدم قدرته على ربط الصلات بالخارج أكثر مما يرتكز على بداهة الوحي، وإذا قارنا بينه وبين الرفق الكوني عند البوذيين أو إرادة الحوار عند المسيحيين، فإن التعصب الإسلامي يكتسي صبغة غير واعية عند من يقترف هذه الجريمة، ذلك أن المسلمين لا يحاولون دائمًا جر الآخرين بأساليب عنيفة إلى مشاطرتهم حقائقهم، بل موقفهم أعمق من ذلك؛ إذ يستحيل عليهم أن يتحملوا وجود الغير كغير، ولم تبق لهم إلا طريقة واحدة لحماية النفس من الشك والمذلة، هي في أن يعتبروا الآخرين (عدمًا). فالمسلمون غير قادرين على أن يعتقدوا بإمكانية وجود إيمان يخالف إيمانهم أو أسلوب فائق على سلوكهم، وما الأخوة الإسلامية إلا نقض للغير بنفي الكفار دون أن يكون ذلك بالاعتراف الصريح؛ إذ الاعتراف الصريح بذلك النفي لو تم لأدَّى إلى الاعتراف ضمنيًّا بوجودهم"(١٦١).

ويضيف (ريمون شارل) قائلاً: "إن المرأة التي تضجر من غزارة زوجها الجنسية بإمكانها أن تستنجد بالقاضي الذي سيتولى ضبط عدد المواقعات، ويمكن للمرأة أن تطالب بالطلاق إن تجاوز زوجها ذلك الحد"(١٦٢).

ثم يقول: إن مجرد وجود هذه الإمكانية للرجوع إلى القاضي لشاهد واضح على استهتار الشعوب الإسلامية بكل ما يتعلق بالشهوات التي يراعونها دون حياء.

---

(161) مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية، الجزء الثاني باب (الحياة الاجتماعية الإسلامية كما صورها بعض المستشرقين) الدكتور عبد الوهاب أبو حديبه، مدير مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية تونس ص١٥١.

Cloude Levy Strouss – Tristes Tropiques paris 1955.

(162) مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية، الجزء الثاني باب (الحياة الاجتماعية الإسلامية كما صورها بعض المستشرقين) الدكتور عبد الوهاب أبو حديبه، مدير مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية تونس ص١٥٥.

ويفسر ذلك بأن المسلم لا يميز بين الحب والجماع دون شك، إن شدة الحمى المتأنية من المناخ تزيد في التهاب طبيعة أناس غير قادرين على التحكم في غرائزهم، والحال أن الفقر فظيع في ربوع مولد الإسلام في الشرق الأوسط وحول البحر المتوسط. ويتساءل صاحبنا هل النموذج الأوروبي للحب والعشق سيخلص الحب الإسلامي من بهيمته وخاصة بالمغرب؟[١٦٣].

واتهم المسلمون بتهم شنيعة من قتل وتذبيح وتعذيب وأكل للحوم الأعداء، وادَّعى أن الإسلام دين استبدادي.

* * *

---

(١٦٣) نفس المرجع السابق ص١٥٥.

الدس

من أساليب التزوير التي اتبعها المستشرقون أسلوب الدس، وهو أسلوب خبيث عبارة عن دس أفكاره السامة بشكل لا يلفت النظر، ولا يستطيع العوام التنبه إلى مثل ذلك.

يقول المستشرق والمبشر (زويمر): "إن لنتيجة إرساليات التبشير في البلاد الإسلامية مزيتين: مزية تشييد؛ ومزية هدم، أو بالأحرى مزيتي تحليل وتركيب، والأمر الذي لا مرية فيه هو أن حظ المبشرين من التغيير الذي أخذ يدخل عقائد الإسلام ومبادئه الخليقة في البلاد العثمانية والقطر المصري وجهات أخرى هو أكثر بكثير من حظ الحضارة الغربية منه، ولا ينبغي لنا أن نعتمد على إحصائيات التعميد في معرفة عدد الذين تنصروا رسميًّا من المسلمين؛ لأننا هنا واقفون على مجرى الأمور، متحققون من وجود مئات من الناس انتزعوا الدين الإسلامي من قلوبهم واعتنقوا النصرانية من طرف خفي.

ويعلق على هذا الكلام المستشرق (أ. ل. شتاليه. A. L.Echotelit) رئيس تحرير مجلة (العالم الإسلامي الفرنسية)، فيقول: ولا شك في أن إرساليات التبشير من بروتستانتية وكاثوليكية تعجز عن أن تزحزح العقيدة الإسلامية من نفوس منتحليها، ولا يتم لها ذلك إلا ببث الأفكار التي تتسرب مع اللغات الأوروبية، فبنشر هذه اللغات الإنكليزية والألمانية والهولندية والفرنسية الإسلام بصحف أوروبا وتمهد السبل لتقدم إسلام مادي، وتقضي إرساليات التبشير لبانتها من هدم الفكرة الدينية الإسلامية التي لم تحفظ كيانها وقوتها إلا بعزلتها وانفرادها(١٦٤).

---

(164) الدراسات الاستشراقية في ضوء العقيدة الإسلامية ص١٥٩، ١٦٠، عن الغارة على العالم الإسلامي ص١٧، ١٨.

ولقد كان للمستشرقين في أسلوب الدس منهج يجذب أنصاف المثقفين والعوام، فبداية حديثهم المدح ثم الذم الخفي، وأحيانا يكون الذم في قالب من قوالب المدح وذلك بشكل لا يلفت النظر.

ففي كتاب (المذهب المحمدي) للمستشرق (جب Jopp) ادَّعى بشرية القرآن بطريق ملتو ليس صريحا مع تجنب الاتهام المدشر

والمستشرق (بلاشير) الذي سار على نفس النهج يقول: "إن للتذكير بالخطوط الكبرى للأراء التي تصوروا عليها القرآن في أوروبا مدة ثلاثة عشر قرنًا ليس من باب العصور المشروع فقط، وإذ تفكر بما حملته تلك الآراء في جوانبها من الخطأ ترى في ذلك التذكير أيضًا طرحًا لعدد كبير من المسائل التي شغلت عقول غير المسلمين بصدد كتاب مقدس تقدر اليوم أهميته في أكثر من ميدان، وكادت هذه الأفكار تكون غير منفصلة في عصر قط عن الصورة البالغة التشويه التي كونتها أوروبة المسيحية لنفسها عن محمد، وسنسعى في هذه المقدمة بجهد تجريدي لا ينكر وجوده، أن نرد إلى القرآن ونقصر عليه النظر في الوقائع التي من شأنها أن تبرز طابع هذا الكتاب الديني.

ما أن شعر العالم البيزنطي في الربع الأخير من القرن التاسع بأن معجزة فقط تستطيع أن تقلب الوضع الذي خلفه الفتح العربي الإسلامي، حتى جهد هذا العالم لتعميق الأسباب التي أدت إلى انقلاب كان بتلك الدرجة مفجعًا، كانوا وقتئذ في الأوساط الكنيسية يتصورون دعوة محمد عمل منشق يدعى بأنه ملهم من الله بينما كان في الواقع قد تلقى تعاليمه من راهب خارج عن العقيدة القويمة[١٦٥].

يقول (أ. ف قويتي): "ليس غرضنا أن نقيم ما للمساهمة العربية من أهمية، أو أن نقارن بينها وبين المساهمة الهلينية أو الأوروبية، وقد يكون من العمل

([165]) الدراسات الاستشراقية في ضوء العقيدة الإسلامية ص١٦٠، ١٦١، عن القرآن.. نزوله.. تدوينه.. ترجمته.. تأثيره (بلاشير)، ترجمة رضا سعادة ص١١-١٢، طبعة أولى ١٩٧٤م دار الكتاب اللبناني

الصبياني أن نفكر في إسناد جائزة تفوق لإحداها على البقية، وهـذا عمـل لاغ خطير، وإننا لا نتصور تصورًا حقًا معيارًا ثابتًا من شأنه أن يستخدم لهذا التقييم على أنه لو وجد ميزان لذلك لاختل الميزان بسهولة بموجب ما للأفكار المسبقة من تأثير لا شعوري.

ولكننا عازمون على التنظير بين هذه الحضارات الثلاث المتعاقبة، بقدر ما يكون ذلك في الإمكـان مبـرزين خصوصـيات الحضـارة العربيـة، تلـك الخصوصيات التي تكون جذورها حتمًا كافية في سلوك العرب الخـاص فـي نزعاتهم العميقة وذاتيتهم الفريدة الشاذة[١٦٦].

ويصرح (قويتي) أن أهل أوروبا متفوقون بيولوجيًّا على الإنسان السـامي البدائي الذي جرى في شرايينه شيء من الدم الزنجي[١٦٧].

والعرب في رأي (قويتي) عاجزون عن أن يتمكنوا هم أنفسهم من استثمار ما جمعوا من نتائج بعد طول العناء وبمهارة فائقة، ومن تأليفها ضمن نظريـة عامة شاملة فسيحة[١٦٨].

والعرب ورثوا عن الكلدان انشغالهم بالتنجيم وباسـتطلاع الغيـب، وهـذا الانشغال مشرقي أساسًا، كما أن من سمات الفكر المشرقي غلبة الروح التجارية الانتفاعية وحدة الأنانية وحب الذات[١٦٩].

ويختم قويتي قوله مستنتجًا: إن الفكر العربي يعوذه بعض الشـيء حـين يحلف بالغا الأوج حتى يبرز نتيجته النهائية بكيفية واضحة ساطعة أي يعـوذه

---

(166) مناهج المستشرقين ص٢٢، آراء بعض المستشرقين حول تراث العلم العربـي والـرد عليها، الدكتور محمد السويس أستاذ تاريخ العلوم الجامعة التونسية.

(167) مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية الجزء الثامن ص٢٣.

(168) نفس المرجع السابق ص٢٣.. بتصرف، عن أخلاق المسلمين ص٢٣.. بتصرف.

(169) مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية الجزء الثاني ص٢٣، عن أخـلاق المسلمين ص٢٧٨.

أمل تأصل ونما في المجتمعات الغربية فحسب، أعني ما يمكن أن يدعي فضولاً مجانيًا لا انتفاعيًا أو خيالاً تأمليًا مولدًا للفرضيات، وتلك خصلة مدنية لا دينية"[١٧٠].

حاول المستشرق الإنجليزي (جورج سال) التزوير في كتاب الله ﷻ عن طريق ترجمته، ولقد كان أول من ترجم القرآن الكريم لأول مرة عام ١٧٣٤م في لندن.

يقول عنه الأستاذ عبد الله عباس الندوي: "لم يكن أقل حقدًا على الإسلام من بني جلدته المستشرقين، غير أنه كان أكثر دهاءً وذكاءً منهم، فلم يوجه اللوم والشتائم المتوارثة إلى الإسلام ورسول الإسلام مباشرة، ولكنه أراد تقليل معنوية القرآن ورسالة الإسلام عن طريق تصرفاته في الترجمة، ومثل ذلك أنه ترجم خطاب القرآن إلى بني آدم ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ بتعبيره "يا أهل مكة"، وعلق في تفسيره أن الترجمة اللفظية هي يا ناس، ولكن الأمر الذي هو ليس بخاف على أي مطلع أن محمدًا لم يقصد إلا إصلاح بني قومه، ولم يكن في مستوى يطمع فيه إلى مخاطبة بني آدم كلهم، فكل ما جاء في القرآن خطاب موجه إلى الناس بصيغة العموم معناه أهل مكة.

ولما جاء عند الآية: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ يتصرف في الترجمة: "يا أيها الرسول ما أرسلناك إلا العامة من الناس".

ويمضي (جورج سال) على هذا النحو في تفسيره المزعوم، ويؤكد لقرائه أن نبوة سيدنا محمد ﷺ كانت حركة إصلاحية محلية مؤقتة ومقصورة على أهل مكة، ثم توسعت شيئًا فشيئًا إلى أن شملت جزيرة العرب[١٧١].

---

(170) نفس المرجع السابق ص٢٣، عن أخلاق المسلمين ص٢٨٧ د/ محمد السويس.

(171) الدراسات الاستشراقية ص١٦٢، عن ترجمات معاني القرآن الكريم وتطور فهمه عند الغرب ص٣٤ – ٣٧.. بتصرف.

ومن أمثلة التزوير الموضوعة في قالب المدح:

يقول المستشرق (سيديو) عن رسول الله ﷺ: "فيقضي عزلته ليالي غارقًا في بحر من التأملات، وما كان أحد ليعلم موضوع تأملاته فما كان لينطق بكلمة طائشة تجعله محل شك وارتياب.

وكانت مقادير وطنه تضطرب في نفسه، فيود لو يهب له قوة وعظمة وهو إذ كان يتمنى لوطنه نظامًا غير الذي يحيط به كان يسأل في نفسه كيف يستطيع أن ينقذ النفوس مما هي غائصة فيه من الهمجية، وكان يشتاط غضبًا على عبادة القوم للأصنام ويبحث عن وسائل إبطالها.

وهو إذ كان على علم بتعاليم دين اليهود ودين النصارى، وكان يرى أن كلا الدينين لا يحقق خطط الإصلاح السياسي الذي يفكر فيه، عزم على إقامة دين جديد أجل، إن هذا العمل جليل ولكن لا شيء يقف العزيمة إذا ما نشطت من عقالها.

كانت تصرفات محمد الأولى فردية، فكلم في الأمر خديجة وابن عمه عليًا وصديقه أبا بكر، معربا لهم عن ضرورة إعادة دين إبراهيم إلى سيرته الأولى، مبلغا إياهم رسالته فآمنوا به، وشهدوا أنه رسول الله ويعجبون من صلاته بالملك جبريل، ويتلقون آي القرآن التي أراد محمد نشرها ليوفق في عمله على أنها من مصدر إلهي، ويسمى محمد دينه الجديد الذي يعني تفويض الأمر إلى الله والإيمان والاعتقاد، فاشتقت منهما كلمة المسلمين وكلمة المؤمنين، ويصرح ورقة ابن نوفل -الذي كان في آخر عمره- بأن محمدًا نبي العرب"[١٧٢].

وأما (كلود كاهن) المستشرق والمدرس بجامعة باريس فيقول: "وليس يسهل علينا – في يومنا هذا – أن نقيم تقييمًا صحيحًا لتلك الشخصية الإنسانية التي

---

(١٧٢) الدراسات الاستشراقية في ضوء العقيدة الإسلامية ص١٦٦، ١٦٧، عن سيديو (تاريخ العرب العام) ص٥٩، ٦٠

تولت من جهة إنشاء عقيدة كبرى جديدة، وكانت من جهة ثانية عميقة الجـذور في بيئتها.

فمحمد -عند المسلم العادي- نبي الله ورسوله المختار لينقل الـوحي إلـى العالمين، وهو لا يعدو أن يكون إنسانًا مثاليًّا حقًا رغم إطراء الروايات المتأخرة وتنميقها، لكنه لا يتصف بأية صفة من صفات الألوهية، ولا يليـق بـالمؤرخ المنصف أن يعيد اهتمامه للاهتمامات التي صدرت عن المهـاترات الطائفيـة القديمة، ولا أن يقنع بتلك الشروح والتعليلات الصبيانية التي نرى في الرسـالة الدينية نتيجة من نتائج مرض الصرع، بل إنه يبدو لهذا المؤرخ المنصـف أن محمدا كان في عداد الشخصيات النبيلة السامية التي سعت في كثير من الحماس والإخلاص إلى النهوض بالبيئة التي عاش فيها أخلاقيًّا وفكريًّا، كما استطاع أن يكيف رسالته حسب طباع الناس وتقاليدهم بمزيد من الفهم والتنظيم، بحيث كفل البقاء والخلود للرسالة التي بشَّر بها"(١٧٣).

والجدير بالذكر أن التراث الإسلامي لعب دورًا هامًا بثغراته في اسـتغلال المستشرقون للدس والتزوير، وحقيقة الأمر أن ذلك أمر يطول شرحه والبحـث فيه، ولكن ما يهمنا هنا هو التنبيه على بعـض كتـب التـراث، التـي وجـد المستشرقون فيها مبتغاهم.

ومن أشهر الكتب التي حققت ذلك كتاب الإسرائيليات في التفسير والحديث للشيخ محمد السيد حسين الذهبي، وهو رجل ذا علم وفير، ولقد اعتمدت عليه في التنبيه على بعض تلك الكتب، وركزت على ما ذكر عن كتب التفسـير، فهـي الأهم في تلك القضية، كذلك أردت أن أنوّه عنها، معتمدًا على كتـاب الـذهبي لخطورة ذلك الأمر، وما هو إلا قليل من كثير.

---

(173) الدراسات الاستشراقية في ضوء العقيدة الإسـلامية ص١٦٧، عـن تـاريخ العـرب والشعوب الإسلامية منذ ظهور الإسلام حتى قرابة الإمبراطورية العثمانية – كلـود كـاهن، ترجمة د/ بدر الدين القاسم ص١٣، ١٤ الطبعة الثانية ١٩٧٧م دار الحقيقة بيروت.

ويقول الدكتور محمد السيد حسين الذهبي: "إن كتب الحديث على اختلاف عصورها قد حوى بعضها من أباطيل الإسرائيليات شيئًا كثيرًا، وكذلك بعض كتب المواعظ التي تقوم على أحاديث الرقاق، ومن ذلك مسند الفردوس للديلمي، ونوادر الأصول للحكيم الترمذي، وكتاب العظمة لأبي الشيخ. وغالب ما في هذه الكتب مبثوث في كتب التفسير المولع أصحابها برواية الإسرائيليات، ولا حاجة بنا إلى أن نعرض لهذه الكتب؛ لأن قيمتها العلمية معروفة، وقد كفانا أسلفنا من المحدثين مهمة ذلك، ببيان درجة كل كتاب من كتب الحديث ما التزم الصحيح منها، وما جمع بين الصحيح والضعيف، وما ضم إلى الصحيح والضعيف، ورواية الموضوعات والمناكير، وكان عملهم هذا رحمة للأمة وهداية إلى مصادر الحق والصدق من حديث رسول الله ﷺ، فجزاهم الله عنه الإسلام وأهله خير الجزاء". اهـ.

وذكر الأستاذ: فمن ذلك على ما بينه المحدثون كتاب الشهاب القضاعي، قال الصاغاني في كتاب الدر الملتقط: قد وقع فيه كثير من الأحاديث الموضوعة، ومنها الأربعون الودعانية، وفيها كتاب فضل العلماء للمحدث شرف البلخي وأوله "من تعلم مسألة قلة كذا وكذا". ومنها مسائل عبد الله بن سلام في امتحانه للنبي ﷺ وهي قدر كراسة، وقد ذكرها العلامة ابن الوردي في خريدته.

ومنها كتب الملاحم قال السخاوي في المقاصد: ولا أصل لكتب الملاحم، ولا يصح فيها وفي الفتن غير أحاديث قليلة قاله الخطيب.

وقال السيوطي في الدرر: قال أحمد: ثلاث كتب ليس لها أصول: الملاحم، والمغازي، والتفسير.

قال الخطيب في الجامع: هذا محمول على كتب مخصوصة في هذه المعاني الثلاثة غير معتمد عليها؛ لعدم عدالة ناقليها وزيادة القصاص فيها.

وقال السخاوي في المقاصد: وتفسير الكلبي كذب كله ولا يحل النظر فيه قاله أحمد.

قال الخطيب: وتفسير مقاتل بن قريب منه وكتب الواقدي كذب، ومنها فتوح الشام، وأصح المغازي لموسى بن عقبة، وأما محمد بن إسحاق فكان يأخذ عن أهل الكتاب قاله الخطيب. اهـ.

وقال العلامة الشوكاني في الفوائد المجموعة: وأما تفسير الصوفية فليس بتفسير، كتفسير السلمي المسمى بـ (حقائق التفسير)، ولا شك أن كثيرا من كلام الصوفية على الكتاب العزيز هو بالتحريف أشبه منه بالتفسير، بل غالب ذلك من جنس تفاسير الباطنية، ومن جملة التفاسير التي لا يوثق بها تفسير ابن عباس، فإنه مروي من طريق الكذابين كالكلبي والسدي ومقاتل، ذكر معنى ذلك السيوطي، وسبقه إلى معناه شيخ الإسلام وبركة الأنام تقي الدين أحمد بن تيمية، ومن كان من المفسرين تتفق عليه الأحاديث الموضوعة كالثعلبي والواحدي والزمخشري، فلا يحل الوثوق بما يرويه عن السلف من التفسير، وكذا ما تذكره الرافضة في تفاسيرهم من الأكاذيب. اهـ.

قلت: ورأيت لبعضهم أنه غدا من المفسرين الذين نفقت عليهم الأحاديث الموضوعة الشيخ الخازن صاحب التفسير المسمى (المعالم)، وإسماعيل أفندي حقي صاحب التفسير المسمى (روح البيان).

ومن الكتب المشحونة بالموضوعات والخرافات الإسرائيلية:

كتاب (نزهة المجالس ومنتخب النفائس) للصغوري، فإن مؤلفه رحمه الله قد شحنه بالموضوعات مما لا يدخل تحت حصر، وفيه حكايات لا أصل لها.

وكتاب (تنبيه الغافلين) لأبي الليث السمرقندي، ذكر الحافظ الذهبي أن فيه موضوعات كثيرة، كما في كتاب (كشف الظنون) وكتاب (قرة العيون ومفرح القلب المحزون) له أيضًا.

وكتاب (الجامع الصغير) للسيوطي فيه كثير من الأحاديث الموضوعة، بنبه عليها بعد تأليفه للموضوعات وذكرها. وكتاب (حياة الحيوان) للدميري، وكتاب (قصص الأنبياء) للثعلبي، و(كتاب المستطرف) للأبشيهي، وكتاب (أنيس

الجليس)، وكتاب (جزينة الأسرار جليلة الأذكار)، والعجيب أن صاحب هذا الكتاب يقول في كل باب: "باب الأحاديث الصحيحة الواردة في كذا". ثم يأتي بأبرد الموضوعات وأسمجها.

ومنها كتاب (تحفة الإخوان في قراءة الميعاد في رجب وشعبان ورمضان) للفشني، طالعته فرأيت فيه موضوعات عديدة، وكتاب (مكارم الأخلاق) للطبرسي، وكتاب (صفة أهل التصوف)، قال السيوطي: في الذيل فيه مناكير وحكايات باطلة قطعًا.

وكتاب (درة الناصحين) تأليف الخوري المطبوع ببولاق سنة ١٢٧٩، رأيته فإذا فيه بلايا وأحاديث باطلة لا أصل لها، وكتاب (نور الإبصار في مناقب آل بيت النبي المختار) فيه موضوعات كثيرة.

وكتاب (البيان في شرح عقود أهل الإيمان) تأليف الكذاب أبي علي الأهوازي، قال ابن عساكر: أودعه أحاديث منكرة. وقال الذهبي في الميزان: أتى فيه بموضوعات وفضائح.

وكتاب (تفضيل العقل) جزءان تأليف سليمان ابن عيسى السجزي الكذاب الهالك، قال الدار قطني: تصنيفه في العقل موضوع كله. ومنها الرسالة العصفورية جمع فيها مؤلفها أربعين حديثًا، ولا يصح منها غير ثلاثة أحاديث والأخرى كلها موضوعة.

وكتاب (بدائع الزهور في وقائع الدهور في أخبار الأنبياء) لابن إياس، فيه أخبار باطلة وخرافات إسرائيلية.

ومنها كتب (سيرة البكري) قال ابن حجر في الفتاوى الحديثية: لا يجوز قراءتها؛ لأن غالبها باطل وكذب، وقد اختلط فحرم الكل حيث لا مميز.

وكتاب (خريدة العجائب وفريدة الغرائب) لأبن الوردي قال في كشف الظنون: أورد فيه أخبارًا واهية وأمورًا مستحيلة، وأن هذا الكتاب متداول بين أصحاب العقول القاصدة.

وكتاب (الترغيب والترهيب) للأصبهاني، قال الحافظ المنذري: فيه أحاديث متحققة الوضع. وكتاب (عجائب الفران) لمحمود بن حمزة الكرماني، قال السيوطي في (الإتقان): أورد فيه أقوالا منكرة لا يحل الاعتماد فيه عليها ولا ذكرها إلا للتحذير منها.

ومنها كتاب (اللباب في الحديث) فيه موضوعات كثيرة، وكتاب (الأهوال والقيامة)، قال الذهبي: كله كذب.

ومنها كتاب (العروس) المنسوب للإمام أبي الفضل سيدنا جعفر الصادق، قال الديلمي: أحاديثه واهية منكرة لا يعتمد عليها، ولعل واضعه نسبه للإمام المذكور لأجل رواجه.

وكتاب (شفاء الصدور) للنقاش، قال أبو الخطاب بن دحية: وقد ملأ أكثره بالكذب والزور، قال الخطيب: بل هو شقاء الصدور وذكر كلام الناس في النقاش واتهامهم له بالوضع.

ومنها كتاب (البركة في فضل السعي والحركة) للشيخ محمد الوصابي اليمني، طالعته فوجدت فيه كثيرًا من الأحاديث الموضوعة والمناكر العديدة.

وكتاب (الروض الفائق في المواعظ والرقائق) للحريفيش، فيه كثير من الموضوع.

وفي كتب التصوف كثير من الموضوعات قاله العالم الشيخ محمد الحوت البيروتي في أسنى المطالب وغير ذلك. اهـ.

ونُسب إلى الرازي كتاب يُسمى سحر الرازي وهو موجود بدار الكتب، وبعد التحقيق وُجِد أنه لا يمت بصلة للرازي، وليس موضعنا هنا نقاط البحث، وما تشمله لكشف الكذب، ولكن ما يهمنا هنا هو استغلال أعداء الإسلام لتلك الكتب في بث سمومهم والاعتماد عليها.

* * *

جامع البيان في تفسير القرآن

محمد بن جرير الطبري

المؤلف هو: الإمام الحافظ، المفسر، الفقيه، المؤرخ أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري، ولد بآمل من بلاد طبرستان سنة أربع وعشرين ومائتين للهجرة، لقي الكثيرين من الشيوخ وأخذ عنهم وروي عنه الكثيرون، وكان من القناعة والزهد بمكان، وهو رأس المفسرين الذين وصلت إلينا كتبهم، جمع من العلوم ما لم يشاركه أحدٌ من أهل عصره وكان حافظًا لكتاب الله، عالمًا بالقراءات، بصيرًا بالمعاني، عالمًا بالسنن وطرقها وصحيحها وسقيمها وناسخها ومنسوخها، عالمًا باللغة والأدب، عالمًا بأحوال الصحابة والتابعين، وكان مثالاً مشرفًا للتفاني في العلم والبحث والتأليف، وما ظنك برجل مكث أربعين سنة يكتب كل يوم أربعين ورقة؟

وبعد هذه الحياة الحافلة بالعلم والتأليف توفي ببغداد ليومين بقيا من شوال سنة عشر وثلاثمائة، وقد صلى على قبره عدة شهور، ورثاه خلق كثير(١٧٤).

كان تفسير ابن جرير تفسيرا بالمأثور، ويؤخذ عليه أنه يذكر الروايات من غير أن ينبه إلى صحيحها من ضعيفها، ونجد أن ابن جرير يلجأ إلى ذكر الأخبار والقصص الإسرائيلي مسندًا ذلك إلى كعب الأحبار، ووهب بن منبه، وابن جريج وغيرهم من أهل الكتاب الذين دخلوا الإسلام.

ويقول الدكتور محمد أبو شهبه: "ولم يسلم تفسير ابن جرير على جلالة مؤلفه من الروايات الواهية والمنكرة والضعيفة والإسرائيليات، وذلك مثل: ما ذكره من حديث الفتون، وفي قصص الأنبياء وما ذكره في قصة زواج النبي ﷺ

---

(١٧٤) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير عن اعلاد المحدثين للمؤلف محمد بن محمد ابو شهبه، وما بعدها

بالسيدة زينب بنت جحش على ما يرويها القصاص والمبطلون، وإن كان ذكر الرواية الصحيحة، ويا ليته اقتصر عليها[١٧٥].

الشواهد:

وإذا تتبعنا أسانيد ابن جرير الذي يوردها في تفسيره فإننا سنجدها تلفت الانتباه وتحتاج لوقفه، ومن ذلك ما ساقه ابن جرير.

حدثني ابن حميد قال: حدثنا سلمة عن ابن إسحق، عن أبي عتاب رجل من تغلب كان نصرانيًا عمرا من دهره ثم أسلم بعد، فقرأ القرآن، وفقه في الدين، وكان فيما ذكر أنه كان نصرانيًّا أربعين سنة، ثم عمر في الإسلام أربعين سنة.... إلخ.

ونجده يروي عن ذلك النصراني خبرًا عن بني إسرائيل، وذلك عند تفسيره لقوله سبحانه وتعالى: ﴿**إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوؤُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيراً**﴾[١٧٦].

فيقول: "كان آخر أنبياء بني إسرائيل نبيًّا بعثه الله إليهم فقال لهم: يا بني إسرائيل إن الله يقول لكم: إني قد سلبت أصواتكم وأبغضتكم بكثرة أحداثكم. فهموا به ليقتلوه فقال الله تبارك وتعالى له: ائتهم واضرب لي ولهم مثلاً، فقل لهم: إن الله تبارك وتعالى يقول لكم: اقضوا بيني وبين كرمي ألم أختر له البلاد، وطيبت له المدرة، وحظرته بالسياج، وعرشته السويق والشوك والسياج والعوسج، وأحطته بردائي، ومنعته من العالم وفضلته؛ فلقيني بالشوق والجذوع، وكل شجرة لا تؤكل، ما لهذا اخترت البلدة، ولا طيبت المدرة، ولا حظرته بالسياج، ولا عرشه بالسويق، ولا حطته بردائي، ولا منعته من العالم، وأتممت

---

(175) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ص١٧٥.

(176) الإسراء: ٧.

عليكم نعمتي، ثم استقبلتموني بكل ما أكره من معصيتي وخلاف أمري، لمه إن الحمار ليعرف مدوده، لما إن البقرة لتعرف سيدها، وقد حلفت بعزتي العزيزة وبذراعي الشديد لآخذن ردائي ولأمرجن الحائط، ولأجعلنكم تحت أرجل العالم.

قال: فوثبوا على نبيهم فقتلوه فضرب الله عليهم الذل ونزع منهم الملك، فليسوا في أمة من الأمم إلا وعليهم ذل صغار وجزية يؤدونها والملك في غيرهم من الناس، فلن يزالوا كذلك أبدًا ما كانوا على ما هم عليه.

ومن الشواهد الأخرى التي تلفت الانتباه لأسانيد الطبري ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿**قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ**﴾(١٧٧).

قال: حدثنا ابن حميد قال: حدثني بعض من يسوق أحاديث الأعاجم من أهل الكتاب، فمن قد أسلم مما توارثوا من علم ذي القرنين.إن ذا القرنين كان رجلاً من أهل مصر، اسمه مرزبًا ابن مردبه اليوناني من ولد يونن ابن يافث بن نوح.

وهنا نجد أن ابن جرير ينبه إلى أن ما يروي عنه رجلاً نصرانيًا ثم أسلم أو رجلاً أعجميًا، ولكن من هو ذلك الرجل النصراني الذي أسلم أو الأعجمي فهو لا يجبنا عن ذلك، وذلك ما يسكت عنه، والحقيقة أن ابن إسحاق مؤرخ ينقل الأخبار على ما حُكيت له وذلك قد يجوز في التاريخ أما التفسير فهو غير جائز.

ويقول الطبري عند تفسيره قوله سبحانه وتعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْراهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ**﴾(١٧٨).

بأن الذي حاج إبراهيم في ربه هو النمروذ بن كنعان بن كوش بن سام ابن نوح.

([177]) الكهف: ٩٤.

([178]) البقرة: ٢٥٨.

وقيل: إنه نمروذ بن فالخ بن عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح.

ونجد أن ابن جرير يروي الكثير من الغرائب التي لا يعلق عليها بأي نقد، مكتفيًا بذكر أسانيدها، ومن شواهد ذلك ما جاء في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ويصْنعُ الفُلْكَ وكُلّما مرّ عليْه ملأٌ مّن قوْمه سخرُوا منْهُ قال إن تسْخرُوا منّا فإنّا نسْخرُ منكُمْ كما تسْخرُون﴾ (١٠٩).

يقول: "حدثنا القاسم قال: حدثنا الحسين قال: حدثني حجاج عن مفضل بن فضالة عن علي بن زيد بن جدعان، عن يوسف بن مهران، عن ابن عباس قال: قال الحواريون لعيسى بن مريم: لو بعثت لنا رجلاً شهد السفينة فحدثنا عنها قال: فانطلق بهم حتى انتهى بهم إلى كثيب من تراب، فأخذ كفًا من ذلك التراب بكفه قال: أتدرون ما هذا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم؟ قال: هذا كعب حام ابن نوح. قال: فضرب الكثيب بعصاه قال: قم بإذن الله. فإذا هو قائم ينفض التراب عن رأسه قد شاب قال له عيسى: هكذا هلكت! قال: لا ولكن مت وأنا شاب ولكني ظننت أنها الساعة، فمن ثَمَّ شبت. قال: حدثنا عن سفينة نوح.

قال: كان طولها ألف ذراع ومائتي ذراع، وعرضها ستمائة ذراع وكانت ثلاث طبقات: فطبقة فيها الدواب والوحش، وطبقة فيها الإنس، وطبقة فيها الطير. فلما كثر أرواث الدواب أوحى الله إلى نوح أن أغمز ذنب الفيل، فغمزه فوقع منه خنزير وخنزيره فأقبلا على الروث، فلما وقع الفأر بحبل السفينة يقرضه أوحى الله إلى نوح أن أضرب بين عيني الأسد، فخرج من منخره سنور وسنورة فأقبلا على الفأر.

فقال له عيسى: كيف علم نوح أن البلاد قد غرقت؟

قال: بعث الغراب يأتيه بالخبر، فوجد جيفة فوقع عليها، فدعا عليه بالخوف، فلذلك لا يألف البيوت، قال: ثم بعث الحمامة، فجاءت بورق زيتون

---

(١٠٩) هود: ٣٨.

بمنقارها وطين برجلها فعلم أن البلاد قد غرقت، قال: فطوقها الخضرة التي في عنقها ودعا لها أن تكون في أنس وأمان فمن ثم تألف البيوت، قال: فقلنا: يا رسول الله، ألا ننطلق به إلى أهلينا فيجلس معنا ويحدثنا؟ قال: كيف يتبعكم من لا رزق له؟ فقال له: عد بإذن الله! قال: فعاد ترابًا.

ويقول عند تفسير قوله تعالى: ﴿**أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا**﴾ (١٨٠).

نرى الطبري يسوق الروايات التي تذكر اسم الشخص الذي مر على القرية الخاوية، فبعضهم قال: عزير. وقال آخرون: إنه أورميا. وذكر ابن إسحاق أن أورميا هو الخضر.

ثم نجد الطبري يعلق بقوله بالنسبة لأولى الأقوال في تلك الأسماء: إن الله تعالى ذكره عجب نبيه ﷺ فمن قال: إذ رأى خاوية على عروشها أنَّي يحيي هذه الله بعد موتها، مع علم أنه ابتدأ خلقها من غير شيء، فلم يقنعه علمه بقدرته على ابتدائها حتى قال: أني يحييها الله بعد موتها. ولا بيان عندنا من الوجه الذي يصح من قبله البيان على اسم قائل ذلك، وجائز أن يكون ذلك عزيرًا، وجائز أن يكون أورميا، ولا حاجة بنا إلى معرفة اسمه؛ إذ لم يكن المقصود بالآية تعريف الخلق اسم قائل ذلك، وإنما المقصود بها تعريف المنكرين قدرة الله على إحيائه خلقه بعد مماتهم وإعادتهم بعد فنائهم، وأنه الذي بيده الحياة والموت، وتثبيت الحجة بذلك على من كان بين ظهراني مهاجر رسول الله ﷺ من يهود بني إسرائيل بإطلاعه نبيه محمدًا ﷺ على ما يزيل شكهم في نبوته ويقطع عذرهم في رسالته؛ إذ كانت هذه الأنباء التي لم يكن ما يعلمها محمد ﷺ وقومه، ولم يكن علم ذلك إلا عند أهل الكتاب ولم يكن محمد ﷺ وقومه منهم، بل كان أميًّا وقومه أميون، فكان معلومًا بذلك عند أهل الكتاب من اليهود الذين كانوا بين ظهراني

---

(180) البقرة: ٢٥٩.

مهاجرة أن محمدا ﷺ لم يعلم ذلك إلا بوحي من الله إليه، ولو كان المقصود بذلك الخبر عن اسم قائل ذلك لكانت الدلالة منصبة عليه صبًا يقطع العذر ويزيل الشك، ولكن القصد كان إلى ذم قيلة فأبان تعالى ذكره ذلك لخلقه.

هناك أمور دسها أعداء الإسلام لتشويه صورته وصورة رجاله وعلى رأسهم رسول الله ﷺ، وللأسف فإن الطبري أورد ما دسه يوحنا الدمشقي في عصر بني أميه، وذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿**وإذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ واتَّقِ اللَّهَ وتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وتَخْشَى النَّاسَ واللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ**﴾[١٨١].

يقول الطبري ما نصه: "يقول الله تعالى ذكره لنبيه ﷺ عتابًا من الله له: واذكر يا محمد إذ تقول للذي أنعم الله عليه بالهداية وأنعمت عليه بالعتق وهو يعني مولى رسول الله ﷺ زيد بن حارثه أمسك عليك زوجك واتق الله وهي زينب بنت جحش. وهي فيما ذكر رآها رسول الله ﷺ فأعجبته وهي في حبال مولاه، فألقى في نفس زيد كراهتها لما علم الله مما وقع في نفس نبيه ما وقع، فأراد فراقها فذكر ذلك لرسول الله ﷺ زيد، فقال له رسول الله ﷺ: أمسك عليك زوجك وهو ﷺ يحب أن تكون قد بانت منه لينكحها.

﴿**واتَّقِ اللَّهَ**﴾ وخف الله في الواجب عليك في زوجته ﴿**وتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ**﴾ يقول: وتخفي في نفسك محبة فراقه إياها لتتزوجها إن هو فارقها والله مبد ما تخفي في نفسك من ذلك ﴿**وتَخْشَى النَّاس واللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ**﴾ يقول تعالى ذكره: وتخاف أن يقول الناس: أمر رجلاً بطلاق امرأته ونكحها حين طلقها ﴿**واللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ**﴾.

---

(١٨١) الأحزاب: ٣٧

ونجد أن ابن جرير لم يعقب على ذلك، وعزا تلك القصة لغير معين وذلك من قوله فيما ذكر.

وفعل ذلك أيضًا في تفسيره قصة داود عليه السلام مع زوجة أوريا التي وردت في سورة (ص)، بعد أن أورد القصة بأسانيدها مع اختلاف متونها نجد أنه لا يذكر أن ذلك كذبًا وافتراء، وذلك أمرّ جد خطير؛ لأن العوام والذين لا يعرفون شيئًا عن الأسانيد يأخذون تلك القصص عن الطبري على أنها ثقة. ويتخذها أعداء الإسلام وبالذات المستشرقين منفذا لنفث سمومهم وبناء آراء خاطئة عن الإسلام.

وروى الطبري ما من شأنه أن يشكك في بعض الأنبياء ويطعن في نبوتهم، ومن شواهد ذلك ما رواه ابن جرير عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿**قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِراً وقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الكِبَرِ عِتِياً**﴾(١٨٢).

قال: "حدثني موسى بن هارون، قال: حدثنا عمرو، قال: حدثنا أسباط عن السدي، قال: نادى جبرائيل زكريا: إن الله يبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميًا، فلما سمع النداء جاءه الشيطان فقال: يا زكريا إن الصوت الذي سمعت ليس من الله، إنما هو من الشيطان يسخر بك، ولو كان من الله أوحاه إليك كما يوحي إليك غيره من الأمر فشك وقال: أنّي يكون لي غلام؟ وحقيقة الأمر أن ما قاله السدي لا أصل له، ولا يجوز على نبي بأنه يشك فيما يوحي إليه من رب العزة سبحانه وتعالى، وكيف يكون للشيطان تلك السلطة التي يستطيع من خلالها النفاذ إلى قلب زكريا عليه السلام والتملك منه، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿**إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الغَاوِينَ**﴾(١٨٣).

---

(182) مريم: ٨.

(183) الحجر: ٤٢.

وسيدنا زكريا حاشا أن يكون من الغاوين فهو نبي معصوم من الوقوع في شباك الشيطان. والمراد من قول سيدنا زكريا ﴿**أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ**﴾ هو التعجب وليس الشك، فهو يتعجب من كون امرأته عاقرًا وكونه بلغ من الكبر عتيًّا ومع ذلك فسيعطي منة الإنجاب.

ولقد تعجبت زوجته: ﴿**يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخاً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ**﴾[١٨٤].

ومن المرويات التي وردت في الطبري قصة صخر المارد وهي قصة من نبوة سيدنا سليمان عليه السلام، وردت هذه القصة عند تفسير قوله سبحانه وتعالى: ﴿**وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ**﴾[١٨٥].

قال حدثنا بشر قال: حدثنا يزيد قال: حدثنا سعيد عن قتادة قوله: ﴿**وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ**﴾ قال: حدثنا قتادة أن سلمان امر ببناء بيت المقدس فقيل له: ابنه ولا يسمع فيه صوت حديد. قال: فطلب ذلك فلم يقدر عليه. فقيل له: إن شيطانًا في البحر يقال له صخر شبه المارد، قال: فطلبه. وكانت عين في البحر يردها في كل سبعة أيام مرة فنزح ماؤها وجعل فيها خمر، فجاء يوم وروده فإذا هو بالخمر، فقال: إنك لشراب طيب إلا أنك تصبين الحليم وتزيدين الجاهل جهلا. قال: ثم شربها حتى غلبت على عقله. قال: فأري الخاتم أو ختم به بين كتفيه فذل. قال: فكان ملكه في خاتمه.

فأتى به سليمان فقال: إنا قد أمرنا ببناء هذا البيت. وقيل لنا: لا يسمعن فيه صوت حديد. قال: فأتى ببيض الهدهد فجعل عليه زجاجة، فجاء الهدهد فدار حولها فجعل يرى بيضه ولا يقدر عليه، فذهب فجاء بالماس فوضعه عليه

---

(184) هود: ٧٢.

(185) ص: ٣٤.

فقطعها به حتى أفضى إلى بيضه، فأخذ الماس فجعلوا يقطعون بـــه الحجـــارة، فكان سليمان إذا أراد أن يدخل الخلاء أو الحمام لم يدخلها بخاتمه، فانطلق يومًا إلى الحمام وذلك الشيطان صخر معه، وذلك عند مقارفة ذنب قارف فيه بعــض نسائه.

قال: فدخل الحمام وأعطى الشيطان خاتمه فألقاه في البحر، فالتقمته ســمكة ونزع ملك سليمان منه، وألقي على الشيطان شبه سليمان. قال: فجاء فقعد على كرسيه وسريره وسلط على ملك سليمان كله غير نسائه. قال فجعل يقضي بينهم وجعلوا ينكرون منه أشياء حتى قالوا: لقد فتن نبي الله وكان فيهم رجل يشبهونه بعمر بن الخطاب في القوة. فقال: والله لأجربنه. قال: فقال له: يا نبي الله وهـــو لا يرى إلا أنه نبي الله أحدنا تصيبه الجنابة في الليلة الباردة فيدع الغسل عمــدًا حتى تطلع الشمس أترى عليه بأسا؟ قال: لا.

قال فبينا هو كذلك أربعين ليلة حتى وجد نبي الله خاتمه في بطن ســمكة، فأقبل فجعل لا يستقبله جني ولا طير إلا سجد له حتى انتهى إليهم ﴿**وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ**﴾ قال هو الشيطان صخر".

وتلك القصة واضحة على أنها كذب وافتراء و أصل لها.

وروى البخاري بسنده إلى أبي هريرة ﷺ قال رسول الله ﷺ: "**قال سليمان بن داود** ﷺ **لأطوفن الليلة على مائة امرأة أو تسع وتسعين كلها يأتي بفارس يجاهد في سبيل الله. فقال له صاحبه: إن شاء الله. فلم يقل: إن شاء الله. فلــم يحمل منهن إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل، والذي نفسي بيده لو قـــال: إن شاء الله. لجاهدوا في سبيل الله فرسانا أجمعون**"(١٠٦).

---

(186) راجع الإسرائيليات للدكتور محمد السيد حسين الذهبي. السبيل إلى معرفـــة الأصـــيل والدخيل في التفسير للأستاذ الدكتور محمد سعيد عزام، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير للأستاذ الدكتور محمد بن محمد أبو شهبه.

لباب التأويل في معاني التنزيل..للخازن

ومؤلفه هو: علاء الدين أبو الحسن علي بن محمد بن إبـراهيم، الشـيخي البغدادي الشافعي الصوفي المشهور بالخازن؛ وذلك لأنه كان خازن كتب خانقاه السميساطية بدمشق، ولد ببغداد سنة ثمان وسبعين وستمائة.

قال ابن قاضي شهبه: "كان من أهل العلم جمع وألـف وحـدث بـبعض مصنفاته، وكان صوفيًا حسن السمت بشوش الوجه متوددًا للناس، ومن مؤلفاته (شرح عمدة الأحكام)، ومقبول المنقول في عشر مجلدات، جمع فيه بين مسندي الشافعي، وأحمد بن حنبل والكتب الستة والموطأ وسنن الدار قطني، ورتبه على الأبواب، وهذا يدل على أنه كانت له مشاركة في العناية في الحديث وإن لم يكن من حفاظه ونقاده و(لباب التأويل: في معاني التنزيل)"[١٨٧].

والخازن كان خازن كتب السميساطية بدمشق، ومن يقوم على خزانة الكتب وله ولع بالتفسير لا بد أن يقرأ كثيرًا مما تحت يديه من كتب التفسير، ولا بد أن يعجب ببعض منها ويتأثر بها فيما يحاول من كتابة التفسير، ولقد رأينا الخـازن قد تأثر إلى حد كبير بالتفاسير التي لها عناية بالجانب القصصـي الإسـرائيلي، فأكثر عنها النقل في تفسيره، وكان أكثر ما تأثر به ونقل عنه تفسير الثعلبـي، الذي كثيرًا ما يعزو إليه مباشرة بعض ما يرويه في تفسيره من الإسـرائيليات، كأنما رأى الخازن أن البغوي – وهو أصل كتابه – أهمـل بعـض القصـص وأعرض عن بعض الموضوعات في الحديث[١٨٨].

---

(187) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، تأليف الأستاذ الدكتور الشيخ محمد بـن محمد أبو شهبه ص١٩٠، ١٩١.

(188) الإسرائيليات في التفسير والحديث، تأليف محمد السيد حسين الـذهبي ص٢٢٠، عـن مقدمة ابن تيمية في أصول التفسير ص١٩.

ومن الشواهد ما ذكره الدكتور محمد سعيد عرام في كتابه معرفة الأصيل والدخيل في التفسير وأقتطف مثالين مما ذكره نقلاً عنه:

قال الإمام الخازن في تفسير قوله تعالى: ﴿**كهيعص**﴾ قال ابن عباس ﷺ: هو اسم من أسماء الله تعالى. وقيل: هو قسم أقسم الله تعالى به.

وعن ابن عباس ﷺ قال: الكاف من كريم، والهاء من هاد، والياء من رحيم، والعين من عليم، والصاد من صادق. وقيل معناه: كاف لخلقه هاد لعباده، يده فوق أيديهم، عالم ببريته، صادق في وعده[189].

وورد في قصة مريم في مسألة تحديد المكان الشرقي وغرض توجه السيدة مريم إليه: ﴿**وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَاناً شَرْقِياً(١٦) فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَاباً فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِياً**﴾[190] أي: مكانًا في الدار مما يلي المشرق، وكان ذلك اليوم شديد البرود، فجلست في مشرق تغلي رأسها، وقيل: إن مريم عليها السلام كانت قد طهرت من الحيض فذهبت تغتسل.

وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿**فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَاباً**﴾.

قيل: إن مريم عليها السلام كانت تكون في المسجد فإذا حاضت تحولت إلى بيت خالتها، حتى إذا طهرت عادت الى المسجد[191].

* * *

(189) لباب التأويل للخازن ج٤ ص٢٣٨.

(190) مريم: ١٦- ١٧.

(191) لباب التأويل للخازن ج٤ ص٢٤١.

تفسير القرآن العظيم

للحافظ ابن كثير

يعد تفسير ابن كثير من أشهد كتب التفسير بالمأثور، ويتميز بفقده للإسرائيليات، ومع أنه مؤرخ ومفسر إلا أن الجانب الإخباري الذي يتميز به المؤرخون من عدم التثبت من الأخبار لم يكن منهج ابن كثير، بل كان محدثًا بارعًا خبيرًا بعلل الحديث، وكان منهجه التنبيه على الإسرائيليات وغرائبها ونقدها.

ومع ذلك فنجد أن ابن كثير ذكر في تفسيره بعض الروايات الإسرائيلية دون التعقيب عليها، رغم أن منهجه الشك والنقد.

ومن شواهد ذلك:

ورد في تفسيره لقوله سبحانه وتعالى: ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ** ﴾(١٩٢).

يقول: وروي عن عبد الرزاق، عن معمر، عن زيد بن أسلم: إن النمروذ كان عنده طعام، وكان الناس يغدون إليه للميرة، فوفد إبراهيم في جملة من وفد للميرة، فكان بينهما هذه المناظرة، ولم يعط إبراهيم من الطعام كما أعطى الناس، بل خرج وليس معه شيء من الطعام، فلما قرب من أهله عمد إلى كثيب من التراب فملأ منه عدليه، وقال: أشغل أهلي عني إذا قدمت إليهم. فلما قدم وضع رحاله، وجاء فاتكأ فنام، فقامت امرأته سارة إلى العدلين فوجدتهما ملآنين طعامًا طيبًا، فعملت طعامًا.

فلما استيقظ إبراهيم وجد الذي قد أصلحوه. فقال: أنى لكم هذا؟ قالت: من الذي جئت به، فعلم أنه رزق رزقهم الله ﷿.

---

(192) البقرة: ٢٥٨.

قال زيد بن أسلم: وبعث الله إلى ذلك الملك الجبار ملكًا يأمره بالإيمان بالله فأبى عليه، ثم دعاه الثانية فأبى، ثم الثالثة فأبى، وقال: اجمع جموعك، واجمع جموعي، فجمع النمروذ جيشه وجنوده وقت طلوع الشمس، وأرسل الله عليهم بابًا من البعوض بحيث لم يروا عين الشمس، وسلطها الله عليهم فأكلت لحومهم ودماءهم، وتركتهم عظامًا بادية، ودخلت واحدة منها في منخري الملك، فمكثت في منخري الملك أربعمائة سنة عذبه الله بها، فكان يضرب رأسه بالمرازب في هذه المدة حتى أهلكه الله بها.

وعند تفسيره لقوله سبحانه وتعالى: ﴿**فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى**﴾[١٩٣].

يقول: "وقال وهب بن منبه في قوله: ﴿**فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى**﴾ قال: فألقاها على وجه الأرض، ثم حانت منه نظرة فإذا بأعظم ثعبان نظر إليه الناظرون، يدب يلتمس، كأنه يبتغي شيئًا يريد أخذه، يمر بالصخرة مثل الخلفة من الإبل فيلتقمها، ويطعن بالناب من أنيابه في أصل الشجرة العظيمة فيجتثها، عيناه تتقدان نارًا، وقد عاد المحجن منها عرفًا، قيل: شعره مثل النيازك، وعاد الشعبتان منها مثل القليب الواسع، فيه أضراس وأنياب لها صريف.

فلما عاين ذلك موسى ولي مدبرًا ولم يعقب، فذهب حتى أمعن ورأي أنه قد أعجز الحية، ثم ذكر ربه فتوقف استحياء منه، ثم نودي يا موسى أن ارجع حيث كنت، فرجع موسى وهو شديد الخوف فقال: خذها بيمينك ولا تخف سنعيدها، سيرتها الأولى، وعلى موسى حينئذ مدرعة من صوف، فدخلها بخلال من عيدان، فلما أمره بأخذها لف طرف المدرعة على يده فقال له ملك: أرأيت يا موسى لو أذن الله بما تحاذر أكانت المدرعة تغني عنك شيئًا؟

قال: لا ولكني ضعيف ومن ضعف خلقت فكشف عن يده، ثم وضعها على فم الحية حتى سمع حس الأضراس والأنياب، ثم قبض فإذا هي عصاه التي

---

(١٩٣) طه ٢٠

عهدها وإذا يده في موضعها الذي كان يضعها إذا توكأ بين الشعبتين، ولهذا قال تعالى: ﴿**سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الأُولَى**﴾[١٩٤] أي: إلى حالها التي تعرف قبل ذلك.

وتلك سقطات لابن كثير، وليس منهجًا يسير عليه، فهو من أفضل من نقد الإسرائيليات ونبه عليها[١٩٥].

* * *

---

[194] طه: ٢١.

[195] راجع الإسرائيليات في التفسير للدكتور محمد السيد حسين الذهبي، السبيل إلى معرفة الأصيل والدخيل في التفسير للأستاذ الدكتور محمد سعيد عرام، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير للأستاذ الدكتور محمد بن محمد أبو شهبة.

تفسير مقاتل بن سليمان

اشتمل تفسير مقاتل على القصص الإسرائيلية بما تحمل من غرائب وأباطيل، وكان يروي بدون الإسناد والروايات، ثم الاعتماد فيها على الإسناد ترجع إلى رجال اتهموا بالكذب ووضع الأحاديث، ومنهم الكلبي الذي اعترف في مرضه لأصحابه أن ما حدث به عنه أبي صالح كان كذبًا.

وأنقل لحضراتكم بعض تلك الإسرائيليات نقلاً عن الدكتور الذهبي:

ذكر في تفسيره لقوله تعالى: ﴿**وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ**﴾[196].

يقول: "ودخل بها زيد فلم يلبث إلا يسيرًا حتى شكا إلى النبي ﷺ ما يلقى منها، فدخل النبي ﷺ فوعظها، فلما كلمها أعجبها حسنها وظرفها، وكان أمرًا قضاه الله ﷻ ثم رجع النبي ﷺ وفي نفسه منها ما شاء الله ﷻ، فكان النبي ﷺ يسأل زيدًا بعد ذلك: "**كيف هي معك؟** فيشكوها إليه فقال له النبي ﷺ: **اتق الله وأمسك عليك زوجك**" وفي قلبه غير ذلك، ثم إن النبي ﷺ أتى زيدًا فأبصر زينب قائمة، وكانت حسناء بيضاء ومن أتم نساء قريش فهويها النبي ﷺ فقال: "**سبحان مقلب القلوب**" ففطن زيد فقال: يا رسول الله ائذن لي في طلاقها فإن فيها كبرًا تعظم علي وتؤذيني بلسانها، فقال النبي ﷺ: "**أمسك عليك زوجك وأتق الله**" ثم إن زيدًا طلقها بعد ذلك.

فأنزل الله ﷻ: ﴿**وَإِذْ تَقُولُ**﴾ يا محمد للذي أنعم الله عليه بالإسلام: ﴿**وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ**﴾ بالعتق، وكان زيدًا أعرابيًّا في الجاهلية مولي في الإسلام، سبي فأصابه النبي ﷺ فأعتقه ﴿**أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي**

([196]) الأحزاب: ٣٧.

﴿نَفْسِكَ﴾(١٩٧) يعني: وتسر في قلبك يا محمد: ليت أنه طلقها ﴿مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾(١٩٨) يعني: مظهره عليك حين ينزل به قرآن ﴿وتَخْشَى﴾ قاله ﴿النَّاسَ﴾ في أمر زينب.

﴿واللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ﴾(١٩٩) في أمرها فقرأ النبي ﷺ هذه الآية على الناس بما أظهره الله عليه من أمر زينب إذ هويها.

ثم يواصل تلك الخرافات ليربط بين ما مضى وقوله ﷻ: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ﴾(٢٠٠).

فيقول: "وهكذا كانت سنة الله في الذين خلوا من قبل محمد. يعني: داود النبي ﷺ حين هوى المرأة التي فتن بها، وهي امرأة أوريا بن جنان فجمع الله بين داود وبين المرأة التي هويها، وكذلك جمع الله ﷻ بين محمد ﷺ وبين زينب إذ هويها كما فعل بداود عليه السلام، فذلك قوله ﷻ: ﴿وكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَراً مَّقْدُوراً﴾(٢٠١) فقدر الله ﷻ لداود ومحمد تزويجهما".

وذلك الكلام لا يستحق التعليق، فهو اتهام لسيدنا محمد ﷺ ولسيدنا داود عليه السلام، والجدير بالذكر أن زينب ابنة عمة رسول الله ولو كان يريد الزواج بها لتزوجها قبل أن يزوجها لمولاة زيد، وذلك الكلام الذي لا سند له ينفي عصمة الأنبياء، وذلك أمر جد خطير يترتب عليه التشكيك فيما يقوله رسول الله ﷺ

([197]) الأحزاب: ٣٧.

([198]) الأحزاب: ٣٧.

([199]) الأحزاب: ٣٧.

([200]) الأحزاب: ٣٨.

([201]) الأحزاب: ٣٨.

بحجة أنه يخطأ وأنه غير معصوم، وذلك أمر باطل لا أساس له من الصحة، فتلك الروايات لا صحة لها فما هي إلا أباطيل وخرافات.

ويقول مقاتل في تفسير قوله سبحانه وتعالى: ﴿ق﴾: "وقاف: جبل من زمردة خضراء محيط بالعالم فخضر السماء منه، ليس من الخلق شيء على خلقه وتنبت الجبال منه وهو وراء الجبال وعروق الجبال كلها من قاف، فإذا أراد الله تعالى زلزلة أرض أوحى إلى الملك الذي عنده أن يحرك عرقًا من الجبل فتتحرك الأرض الذي يريد، وهو أول جبل خلق ثم أبو قبيس بعده، وهو الجبل الذي الصفا تحته ودون قاف بمسيرة سنة جبل تغرب منه الشمس يقال له: الحجاب فذلك قوله تعالى: ﴿حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾[٢٠٢] يعني بالجبل وهو من وراء حجاب، وله وجه كوجه الإنسان وقلب كقلوب الملائكة في الخشية لله تعالى، وهو من وراء الحجاب الذي تغيب الشمس من ورائه، والحجاب دون قاف بمسيرة سنة وما بينهما ظلمة، والشمس تغرب من وراء الحجاب في أصل الجبل فذلك قوله: ﴿حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ يعني بالجبل.

ويقول عند تفسيره لقوله سبحانه وتعالى: ﴿وإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً ومُلْكاً كَبِيراً﴾[٢٠٣]:

"وذلك أن الرجل من أهل الجنة له قصر في ذلك القصر سبعون قصرًا، في كل قصر سبعون بيتا، كل بيت من لؤلؤة مجوفة طولها في السماء فرسخ وعرضها فرسخ عليها أربعة ألف مصراع من ذهب، في ذلك البيت سرير منسوج بقضبان الدر والياقوت، عن يمين السرير وعن يساره أربعون ألف كرسي من ذهب، قوائمها ياقوت أحمر على ذلك السرير سبعون فراشًا، كل

([202]) ص: ٣٢.

([203]) الإنسان: ٢٠.

فراش على لون وهو جالس فوقها، وهو متكئ على يساره عليه سبعون حلة من ديباج الذي يلي جسده حريرة بيضاء وعلى جبهته إكليل مكلل بالزبرجد والياقوت، وألوان الجواهر كل جوهرة على لون، وعلى رأسه تاج من ذهب فيه سبعون ذؤابة في كل ذؤابة درة تساوي مال المشرق والمغرب وفي يديه ثلاث أسورة: سوار من ذهب وسوار من فضة وسوار من لؤلؤ، وفي أصابع يديه ورجليه خواتم من ذهب وفضة، فيه ألوان الفصوص وبين يديه عشرة آلاف غلام، لا يكبرون ولا يشيبون أبدًا.

ويوضع بين يديه مائدة من ياقوته حمراء طولها ميل في ميل، ويوضع على المائدة سبعون ألف إناء من ذهب وفضة، في كل إناء سبعون لونًا من الطعام، يأخذ اللقمة بيديه، فما يخطر على باله حتى تتحول اللقمة عن حالها إلى الحال التي يشتهيها، وبين يديه غلمان بأيديهم أكواب من ذهب وإناء من فضة، معهم الخمر والماء، فيأكل على قدر أربعين رجلاً من الألوان كلها، كلما شبع من لون من الطعام سقوه شربه مما يشتهي من الأشربة.

فيفتح الله تعالى عليه ألف باب من الشهوة من الشراب فيدخل عليه الطير من الأبواب كأمثال النجائب، فيقومون بين يديه صفًا فينعت كل نفسه بصوت مطرب لذيذ ألذ من كل غناء في الدنيا فيقول: يا ولي الله كلني إني كنت أرعى في روضته كذا كذا من رياض الجنة. فيحلون عليه أصواتها فيرفع بصره فينظر إليهم، فينظر إلى أزهاها صوتًا، وأجودها نعتًا فيشتهيها فيعلم الله ما وراء شهوته في قلبه من حبه، فيجئ الطير فيقع على المائدة بعضه قديد وبعضه شواء، أشد بياضًا من الثلج وأحلى من العسل، فيأكل حتى إذا شبع منها واكتفى؛ طارت طيرًا كما كانت، فتخرج من الباب الذي كانت دخلت منه.

فهو على الأرائك، وزوجته مستقبلة يبصر وجهه في وجهها من الصفاء والبياض، كلما أراد أن يجامعها ينظر إليها فيستحي أن يدعوها فتعلم ما يريد منها زوجها، فتدنو إليه فتقول: بأبي وأمي، ارفع رأسك وأنظر إليَّ، فإنك اليوم

لي وأنا لك. فيجامعها على قوة مائة رجل من الأولين وعلى شهوة أربعين رجلاً، كلما أتاها وجدها عذراء، لا يغفل عنها مقدار أربعين يومًا، فإذا فرغ وجد ريح المسك منها فيزداد حبًا لها، فيها أربعة آلاف وثمانمائة زوجة مثلها لكل زوجة سبعون خادمًا وجارية".

ونجد مقاتل بن سليمان يعين اسم الملك الذي فر منه أصحاب الكهف ويدعى أن اسمه (دقيوس) وأن اسم الكهف (بانجلوس) واسم الكلب (قطمير).

ولقطمير هذا حكاية معي وأنا صغير فأحد الشباب الذي كان يتولاني في المسجد لحفظ القرآن وأمور الدين قال لي ذات مرة: إذا قابلت أي كلب عقور فقل له: إن قطمير يقرؤك السلام. وكان في منطقتنا بشارع فاروق بالزقازيق كلبان شرسان، لا يستطيع الناس المرور أمامهما، فحاولت أن أجرب وكان أحدهما هو الموجود وذلك لحسن حظي، فأقرأته ألف سلام من جدهم قطمير كما قيل لي، لكن ذلك لم يجدي، فعلمت أن ذلك الكلب العقور الذي خلصني الله منه برحمته لا يقرأ تاريخه ولا يعرف جده قطمير.

وحقيقة الأمر أنني ظللت أحاول التعرف على موضع في التراث ذكر اسم الكلب، وأن له سلطان على الكلاب شرسة، ولكنني لم أتوصل لشيء إلا وأنا أكتب ذلك الكتاب، فمن سلبيات تلك الخرافات أنها تسيطر على عقول العامة لغرابتها وذلك أمر جد خطير.

* * *

الكشف عن بيان تفسير القرآن للثعلبي

للثعلبي كتاب في قصص الأنبياء ملئ بالأساطير من الإسرائيليات كذلك فعل في تفسيره غير الكامل، ويقول عنه ابن تيمية: "والثعلبي في نفسه كان فيه خير ودين، وكان حاطب ليل ينقل ما وجد في كتب التفسير من صحيح وضعيف وموضوع. وقوله وقد سئل عن بعض كتب التفسير: "... وأما الواحدي فإنه تلميذ الثعلبي، وهو أخبر منه بالعربية، لكن الثعلبي فيه سلامة من البدع وإن ذكرها تقليدًا لغيره، وتفسيره وتفسير الواحدي، البسيط والوسيط والوجيز، فيها فوائد جليلة وفيها غث كثير من المنقولات الباطلة وغيرها"[٢٠٤].

وعن فضيلة الدكتور الذهبي أنقل تلك الشواهد:

ما ذكره الثعلبي عند تفسيره لقوله سبحانه وتعالى: ﴿**قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ ومَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا ولَوْ كُنَّا صَادِقِينَ (١٧) وجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ واللَّهُ المُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ**﴾[٢٠٥].

يقول: "فقالوا: ألم تروا إلى أبينا كيف يكذبنا في مقالتنا فتعالوا نصطد ذئبًا. قال: فاصطادوا ذئبًا ولطخوه بالدم وأوثقوه بالحبال، ثم جاءوا به يعقوب وقالوا: يا أبونا إن هذا الذئب يحل بأغنامنا ويفترسها، ولعله الذي فجعنا بأخينا لا نشك فيه، وهذا دمه عليه.

فقال يعقوب: أطلقوه، فأطلقوه فبصبص له الذئب وأقبل يدنو منه ويقول له يعقوب: ادن ادن. حتى ألصق فخذه بفخذه، فقال له يعقوب، أيها الذئب، لم فجعتني في ولدي وأورثتني بعده حزنًا طويلاً؟ ثم قال: اللهم أنطقه فأنطقه فقال:

---

(204) الإسرائيليات في التفسير والحديث – محمد السيد حسين الذهبي ص٢١٧، نقلاً عن مقدمة ابن تيمية في أصول التفسير ص١٩.

(205) سورة يوسف ١٧، ١٨.

والذي اصطفاك نبيًّا ما أكلت لحمه، ولا مزقت جلده، ولا نتفت شعرة من شعره، ووالله مالي بولدك عهد، وإنما أنا ذئب غريب، أقبلت من نواحي مصر في طلب أخ لي فقدته، فلا أدري أحي هو أم ميت، فاصطادني ولدك وأوثقني، إن لحوم الأنبياء حرمت علينا وعلى جميع الوحوش، وبالله لا قمت في بلاد يكذب فيها أولاد الأنبياء على الوحوش. فأطلقه يعقوب وقال لبنيه: والله لقد أتيتم بالحجة على أنفسكم، هذا ذئب بهيمة خرج يتبع زمام أخيه، وأنتم ضيعتم أخاكم، وعلمت أن الذئب بريء مما جئتم به ﴿**بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ**﴾[٢٠٦].

ويذكر الثعلبي رواية غريبة عند تفسير قوله تعالى: ﴿**إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَداً**﴾[٢٠٧].

يقول: "وأسماؤهم: مكسلميثا وهو كبيرهم ورئيسهم، وأمليخا وهو أجملهم وأعبدهم وأنشطهم، ومكشيثا، ومرطوش، ونواش، ولونواش، وكبر سططنوس، وكلبهم قطمير.

ولما دخلوا الكهف قالوا: يا حيوم، يا قيوم، أيوم طاسوم،.........،

قال كعب: مروا بكلب فنبح فطردوه مرارًا، فقام الكلب على رجليه رافعًا يديه إلى السماء كهيئة الداعي، فنطق فقال: لا تخافوا مني: أنا أحب أحباء الله، فناموا حتى أحرسكم،،،،،.

وقيل: إن النبي ﷺ سأل الله أن يريه إياهم، فقال: إنك لن تراهم في دار الدنيا، ولكن ابعث إليهم أربعة من خيار أصحابك ليبلغوهم رسالتك، ويدعوهم إلى الإيمان. فقال النبي ﷺ: لجبريل كيف أبعثهم؟ فقال: ابسط كساءك وأجلس

---

(206) يوسف: ١٨.

(207) الكهف: ١٠.

على طرف من أطرافه أبا بكر، وعلى الآخر عمر، وعلى الثالث عثمان، وعلى الرابع علي بن أبي طالب، ثم ادع الريح الرخاء المسخرة لسـليمان، فـإن الله تعالى يأمرها أن تطيعك ففعل، فحملتهم الريح إلى باب الكهف.

* * *

اتخاذ الأقوال الدخيلة والضعيفة كدليل على التزوير

فطن المستشرقون إلى أن أسلوب التزوير المباشر بأنواعه لم يحقق لهم كل ما يريدون، فاتجهوا إلى الاعتماد على الأقوال الدخيلة والضعيفة، وجعلوا منهـا دليلاً على ما زوره.

ومثال ذلك ادعاء (هرمان ستيتجكر) المستشرق الألماني بأن القرآن لـيس معجز، وأن سورة الفاتحة والمعوذتين ليستا من القرآن.

إن هناك من يرى أن لغة القرآن في ذاتها ليست شيئًا غير عـادي علـى الإطلاق؛ إذ أنها لا تتميز عن لغة الأدب الدنيوي بعصمة يقينية، وهذا أمر يجده المرؤ في عدم اتفاق أصحاب النبي فيما بينهم على تبعية بعض فقرات معينـة، فابن مسعود مثلاً يرى أن سورة الفاتحة والمعوذتين ليستا من القرآن رغـم أن هذه السور تعد من أشهر المشهورات[٢٠٨].

ولا يشير إلى أي مرجع اعتمد عليه في نقل هذه الرواية ولو سلمنا -جدلاً- بصحة روايته كما يقول الدكتور حمدي زقزوق، فهو رأى أقل ما يمكن أن يقال عنه أنه رأى فردي وشاذ، ولا يترتب عليه أي أثر بالنسبة لإجماع المسلمين منذ أربعة عشر قرنًا من الزمان، كيف وهو لا يمكن أن يعارض الأحاديث النبويـة الصحيحة المتفق على صحتها على أن الفاتحة والمعوذتين من القرآن بل صـح النقل على أن الفاتحة هي أم القرآن.

ففي البخاري عن أبي سعيد بن المعلي ﷺ أن النبي ﷺ قال له: "**لأعلمنـك سورة هي أعظم السور في القرآن قال: الحمد لله رب العـالمين هـي السـبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته**"[٢٠٩].

([208]) الدراسات الاستشراقية في ضوء العقيدة الإسلامية ص١٧٠، عن كتاب الإسـلام فـي الفكر الغربي للدكتور زقزوق ص٥١.

([209]) الدراسات الاستشراقية في ضوء العقيدة الإسلامية ص١٧٠.

واعتمد المستشرقون على مصادر غلاة الشيعة وخلافهم من المذاهب الفاسدة، التي أسست على الباطل وزوروا في التراث الإسلامي، فما كان إلا أن اعتمد مزور على مزور.

ومثال ذلك ما ادعاه (جولد تسيهر) من أن المسجد الأقصى غير مقدس، واعتمد على ذلك اليعقوبي -وهو شيعي- وسعيد بن البطريق وهو بطريق للقبط وعرف باسم أتوخيا عند الإفرنج.

يقول المستشرق الألماني (فلهلم رودلف): "ومما هو جدير بالملاحظة أن القرآن لم يذكر الوثنية العربية إلا قليلاً، لم ينطو طوال العهد المكي على شيء يمت بصلة إلى الوثنية غير الاعتقاد بالجن، أما الآلهة الثلاثة اللات ومناة والعزى فلم يرد ذكرها إلا عرضًا في سورة النجم[٢١٠].

فالقوم يعتمدون على الرواية الموضوعة التي تقول بأن النبي ﷺ قرأ سورة النجم على كفار قريش فلما وصل لقوله تعالى: ﴿**أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّى (١٩) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى**﴾[٢١١] ألقى عليه الشيطان تلك الغرانيق العلى "**وإن شفاعتهن لترتجى**" ثم أكمل السورة وسجد المشركون معه ﷺ، ويصرح عدد من المستشرقين بذلك وكأنها حقيقة[٢١٢].

* * *

([210]) نفس المرجع السابق ص٣٩٤، عن صلة القرآن باليهودية والمسيحية، تأليف دنلهم رودلف، ترجمة عصام الدين حفني ناصف ص٤٥ دار الطليعة – بيروت الطبعة الأولى ١٩٧٤م.

([211]) النجم: ١٩- ٢٠.

([212]) الدراسات الاستشراقية في ضوء العقيدة الإسلامية ص٣٩٤.

أسلوب التزوير بالنتيجة ورفض الأدلة الشرعية

اتخذ المستشرقون أسلوبًا جديدًا للوصول إلى هدفهم، وهو تزوير التراث الإسلامي بطريقة التحليل للوصول إلى نتيجة، ولعلمهم بأن التحليل لا بد وأن يبني على ثوابت تاريخية؛ لذا لجئوا للتحليل المجرد الغير مبني على تلك الثوابت، بل يعتمد على التفكير العقلي المجرد.

ومثال ذلك ما جاء في كتاب الأبطال وعبادة البطل للمستشرق البريطاني (مونتجمري وات) "إن الاضطهاد الذي لاقاه سيدنا محمد ﷺ وصبره على الأذى هو السبب في إيمان من اتبعوه".

ويركز في الكتاب على أن دراسة الإسلام لا بد وأن تكون بعيدة عن القرآن والسنة؛ لأنهما متحيزان وليس هناك داعي للاعتماد على الإسناد في الفترة المدنية؛ لأنه أصبح إسناد وهو إسناد عروة المتهم بالتحيز؛ لذلك يدعوا للافتراض والتخمين.

ويقول أيضًا: يعتقد السنيون أن القرآن وحي إلهي وأنه كلام الله، ومع ذلك فإن القرآن يكشف لنا عن أحكام صريحة على معتقدات العرب الجاهلين، وعلى بعض الأفكار التي تسربت إلى محمد والمسلمين، كما نجد فيه مقاطع أخرى يمكن أن تستنتج منها معتقدات محمد ومعاصريه بشيء من الثقة.

يوحي لنا كل ذلك بمنهج لدراسة التأثيرات اليهودية والمسيحية، يرضي البحث الغربي ولا يثير اعتراض المسلمين، ويمكن أن تكون النقطة الأولى هي التساؤل عما يذكره القرآن أو يحتويه حول مسألة معتقدات العرب في عصر محمد، سواء كانت معتقدات التقدميين المثقفين أم المحافظين، ويمكن التساؤل عندئذ عن مدى التأثيرات اليهودية والمسيحية"(٢١٣).

---

(213) الدراسات الاستشراقية في ضوء العقيدة الإسلامية ص١٨٢، عن محمد في مكة ص٥٦.

وأنكر المستشرق (فان فولتن) يوم القيامة وإنكار رسالة الرسول ﷺ في كتابه (السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات في عهد بني أمية) وقدم لإنكاره مقدمة في غاية الخبث فيقول: إن الروح الإسلامية بشكل خاص والروح الشرقية بوجه عام، متأثرة بمسألة الكشف عن المستقبل بالتنبؤ. وذكر أن ابن خلدون تكلم عن ذلك في مقدمته، ثم ينتقل إلى أن يوم القيامة في الأصل مأخوذ من اليهود والنصارى، ثم أخذت الشكل العربي في القرن الأول الهجري، وذلك عن طريق الأحاديث التي وضعها الذين دخلوا الإسلام من اليهود والنصارى، ومنهم: كعب الأحبار، ووهب بن منبه، وتميم الداري. الذين اعتنوا بهذا النوع من الغيب.

ويقول (بلاشير) المستشرق الفرنسي: "إن السور المنزلة الأولى التي افتتحت دعوة محمد تشتمل على الأصل اللغوي لاسم "القرآن"، ففي بعض المقاطع القرآنية وردت كلمة "قرآن" بمعنى التلاوة، ويمكن أن تكون الكلمة مأخوذة عن اللغة السريانية، التي يرد فيها لفظ مشابه جدًا لهذا المعنى"[٢١٤].

ويقول أحد المستشرقين: إن حراء أصلها هيراء، وهو لاتيني ومعناه: المقدس. فقال له الدكتور (حسين الهراوي): "إنني أعرف ما تريد أن تستنتج أن هيرا وهو الجبل المقدس هو اسم أطلقه الرومان على هذا الجبل الذي تعبدوا فيه، فأنت تجعله في مكان جبل الأوليمبيا في اليونان، ويتأتى مثل هذا الاستنتاج أن محمدًا ﷺ اتبع الأديان الأخرى، فأعطني الدليل المسلوي على استنتاجك؛ لأنك تتكلم بلسان تحركه عواطف ضد الإسلام فسكت.

والحق أن عقلية هؤلاء المستشرقين وأشباههم مدهشة، فأي لفظة عربية لها مشابه في اللغات الأخرى قالوا: إن العربية استعارتها. وإذا فما قولهم في لفظة "تبل ونبيل" التي توجد في كثير من اللغات والعربية أيضًا بنفس المعنى[٢١٥].

([214]) نفس المرجع السابق ص١٨٥، عن القرآن.. نزوله.. وتدوينه. (بلاشير) ص٢٣.

([215]) الدراسات الاستشراقية في ضوء العقيدة الإسلامية، عن المستشرقون والإسلام د/ حسين الهراوي ص٧٤.

الخطأ وتجاهل الحقائق

إن هناك من المستشرقين من وقع في خطأ التزوير لسوء فهمه للإسلام ولتعصبه، فلقد دفعه تعصبه للعداء دون أن يحاول الفهم بالطرق الصحيحة، فهؤلاء لا يعرفون عن الإسلام إلا اسمه، وليسوا على دراية باللغة العربية ولا بالعلوم الأخرى، فكان منهج دراستهم منهج المتعصب الذي يريد أن يتصيد خطأ لخصمه وإن اخترع هو هذا الخطأ.

وهناك من الأمثلة الكثير على ذلك فبعض المستشرقين لا يعرفون اللغة العربية مثل: (سلفتر دي ساس) و(آرثر. ن. ولاستن) الذي ترجم بعض آيات القرآن، والذي اعترف أنه يجهل العربية وجاء ذلك في مقدمة طبعة الترجمة.

و(أفليس عونيا) الذي قام بشرح مقامات الحريري لم يكن يعرف شيئًا عن العربية. و(جيرار دي نوفال) وغيرهم الكثير.

ويقول (فارس الشدياق) الذي عمل مع المبشرين والمستشرقين: "إن هؤلاء الأساتذة لم يأخذوا العلم عن شيوخه، إنما تطفلوا عليه تطفلاً وتوثبوا إليه توثبًا، ومن تخرج منه بشيء فإنما تخرج على القيس، ثم أدخل رأسه في أضغاث أحلام وتوهم أنه يعرف شيئًا وهو يجهله. وكل منهم إذا درس في إحدى لغات الشرق أو ترجم شيئًا منها، تراه يخبط خبط عشواء فما اشتبه عليه منها رقعة عنده بما شاء، وما كان بين الشبهة والتبين حدس فيه وخمن، فرجح منه المرجوح وفضل منه المفضول"[٢١٦].

ويقول الأستاذ إبراهيم عبد المجيد اللبان: "كان أول ما أدهشني عند اتصالي بهم مدى معرفتهم باللغة العربية، فقد لاحظت في أثناء دراستي في كلية العلوم الشرقية بلندن أن هؤلاء المستعربين لا يحسنون الكلام باللغة العربية، وقد حملهم هذا على أن يدرسوا العلوم العربية والإسلامية لطلبتهم باللغات الأوروبية

([216]) نفس المرجع السابق ص١٨٨. عن مقدمات العلوم والمناهج ١/ ٢٢٤.

كالإنجليزية والفرنسية والألمانية، وليس معنى هذا أنهم يجهلون اللغة العربيـــة، فهم عادة يجيدون فهم اللغة العربية وقراءة كتبها، وإن كانوا عاجزين عن التعبير الحر الطليق بها.

ولست بحاجة إلى التعليق على هذا النقص بأكثر من الإشارة إلى نتائجـــه الطبيبة الواضحة، وأولى تلك النتائج أن العجز عن التعبير يقارنه في العادة نقص في الفهم وبطء في القراءة وهذا هو الواقع، فالأمر الذي لا جدال فيه أن هـــؤلاء المستشرقين محدودون في فهمهم لنصوص اللغة ودقتها، وهذا أحـــد مصـــادر الأخطاء الكثيرة التي يقعون فيها، فإن أبسط شروط البحث العلمي الذي يتصدى لدراسة آداب آية لغة من اللغات هو معرفة هذه اللغة معرفـــة وثيقـــة، معرفـــة تتناول فهمها والتأليف والخطابة بها.

ولا يقتصر أثر هذا النقص العلمي على الأغلاط الموضوعية التي يســـببها سوء الفهم، بل يبدو على أتمه حينما يتصدى أولئك الباحثون للحكم على أسلوب الأدب من شعر ونثر، وعلى أسلوب القرآن الكريم وشـــرح الحـــديث النبـــوي الشريف، ونجد في كتاباتهم أخطاء تاريخية وفقهية إلى آخره.

كل هذا صحيح وعلى المستشرقين الاعتراف بذلك قبل غيرهم، والأقبح من ذلك أنه توجد جماعة يسمون أنفسهم مستشرقين، سخروا معلوماتهم عن الإسلام وتاريخه في سبيل مكافحة الإسلام والمسلمين، وهذا واقع مؤلم لا بد أن يعترف به المستشرقون والمخلصون لرسالتهم بكل صراحة"[٢١٧].

ويقول (بلاشير) الذي ألَّف كتابًا للتشكيك في القرآن: "وقلما وجـــدنا بـــين الكتب الدينية الشرقية كتابًا بلبل بقراءته دأبنا الفكري أكثر مما فعله القرآن، فإنا معشر الاختصاصين في الإسلاميات حتى ولو بذلنا جهدًا وافرًا لبعث الجو الذي

([217]) الدراسات الاستشراقية في ضوء العقيدة الإسلامية ص١٨٩. عن المستشرقون والإسلام ص٢٨ – ٣٠.

نمتْ فيه دعوة محمد تكتشف تنافرًا يتعذر دفعه بين هذا الجو وبين الشك الـذي اتخذه المصحف. فأمام هذا النص الشائك بصعوباته الكثيرة الغموض، والمدهش بأسلوبه الإيجازي الذي يغلب عليه التلميح، نتوقف ملتمسين الفكرة الرئيسية التي تصل فيما بينها بمنطق كامل، قصـص وشـروحات يصـعب الكشـف عـن ترابطها"[٢١٨].

هكذا يعلن عن جهلهم وإفلاسهم في فهم القرآن وتخبطهم في الـربط بـين آياته؛ لأنهم غرباء عن هذه الأمة في الدين واللغة والحيـاة واتـزان العقليـة، بالإضافة إلى الدوافع والرواسب التي في الأعماق وتحمل فـي طياتهـا الحقـد والحسد، مما يؤدي إلى الشطط والبعد عن المنهج العلمي السليم.

ولا غرابة في ذلك ولكن اللوم على من يدعي العلم والثقافـة مـن أبنـاء المسلمين، ثم يجعل من هؤلاء الجهلاء مرجعًا له في بحوثه وتحقيقاته[٢١٩].

وادعى بعض المستشرقين أن غار حراء مكان اعتاده كثيـر مـن النـاس للهروب من الحر، وهذا ما قاله (سـيديو) و(منتجـومري وات) و(كونسـتانس جيورجيو) الذي قال بأنه مكان اعتاده كبار السن، وكان عبد المطلب جد سـيدنا محمد ﷺ يذهب إلى هناك وهذا طبعًا جهل بيِّن.

ومن الأمثلة التي تدل على جهلهم ما ادعاه المستشرق (أرفنج) من أن سيدنا محمد ﷺ كان يلعب في الحقول وقت حادثة شق الصدر، والجدير بالذكر أن مكة لم يكن بها حقول.

([218]) نفس المرجع السابق ص١٩٠ عن مجلة الفكر الإسلامي البيرونية – العـدد الرابـع – السنة الثانية عن الإسلام في الفكر الغربي ص١.

([219]) الدراسات الاستشراقية في ضوء العقيدة الإسلامية ص١٩١. عن القـرآن.. نزولـه.. وتدوينه. (بلاشير) ص٤١.

وتفسيرهم لقوله سبحانه وتعالى: ﴿**وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ**﴾(٢٢٠). بأن الملائكة لا يلبسون أحذية.

وأما عن تجاهل الحقائق رغم علمهم بها فأمثلتها كثيرة ومنها: ادعاءهم بأن حياة سيدنا محمد ﷺ في السنين الأولى كانت غامضة، وذلك رغم معرفتهم بسيرته معرفة جيدة، وادعاءهم بأن القرآن الكريم يقول: إن السيدة مريم أخت لموسى ابن عمران لقوله سبحانه وتعالى: ﴿**يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيّاً**﴾(٢٢١).

وذلك بالطبع تجاهل للحقائق، فلقد بيَّن ﷺ ذلك في حديثه الذي رواه مسلم عن المغيرة بن شعبة ﷺ قال: "لما قدمتُ نجران سألوني فقالوا: إنكم تقرءون يا أخت هارون، وموسى قبل عيسى بكذا وكذا. فلما قدمت على رسول الله ﷺ سألته عن ذلك فقال: "**إنهم كانوا يسمون بأنبيائهم والصالحين قبلهم**"(٢٢٢).

---

(220) الزمر: ٧٥.

(221) مريم: ٢٨.

(222) الدراسات الاستشراقية في ضوء العقيدة الإسلامية ص١٩١.

صحيح مسلم ٣/١٦٨٥، الحديث التاسع من كتاب الآداب.

المراجع

١- القرآن الكريم.

٢- الدراسات الاستشراقية في ضوء العقيدة الإسلامية. زيد بن أحمد زيد العبلان..رسالة ماجستير المملكة العربية السعودية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية أصول الدين قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة ١٤٠٦هـ.

٣- مؤتمرات المستشرقين العالمية نشأتها - تكوينها - أهدافها. المحسن بن علي بن صالح سويسي ١٤١٤هـ - ١٩٩٨م رسالة دكتوراه المملكة العربية السعودية، وزارة التعليم العالي جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية الدعوة بالمدينة المنورة قسم الاستشراق.

٤- دراسة تحليلية نقدية لمجلة الآباء اليسوعيين الكاثوليكية للفترة من ١٨٩٨م حتى بداية الحرب العالمية الثانية. بحث مكمل لنيل درجة الماجستير عبد العزيز على بن صالح الحويني، المملكة العربية السعودية وزارة التعليم العالي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية المعهد العالي للدعوة الإسلامية المدينة المنورة - قسم الاستشراق.

٥- العلاقة بين التنصير والاستشراق من حيث النشأة والأهداف. حسن محمد نايف غالب رسالة ماجستير، المملكة العربية السعودية وزارة التعليم العالي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - المعهد العالي للدعوة الإسلامية بالمدينة المنورة - قسم الاستشراق ١٤٠٥هـ - ١٤٠٦هـ، ١٩٨٥م - ١٩٨٦م.

٦- توطين التنصير في إندونيسيا. محمد بن صالح بن رحماني بحث مكمل لنيل درجة الماجستير ١٤٠٧هـ، المملكة العربية السعودية وزارة التعليم العالي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالمدينة المنورة، قسم الاستشراق شعبة المراكز التنصيرية.

٧- هاملتون جب حول الإسلام من خلال كتابه (دراسات في حضارة الإسلام وتفنيدها). إعداد سعيد سليم محمد رضوان، رسالة دكتوراه جامعة الأزهر كلية أصول الدين والدعوة ١٩٩٩م.

٨- شبهات المستشرق توباس أرتولد في كتابه الدعوة إلى الإسلام عرض ودحض. إعداد محمد محمد العاصي، رسالة ماجستير كلية أصول الدين والدعوة جامعة الأزهر فرع المنوفية ١٩٩٩م.

٩- سلسلة عالم المعرفة الكويتية ودورها في قضايا الدعوة عرض وتقويم. إعداد محمد محمد العاصي، رسالة دكتوراه قسم الدعوة والثقافة الإسلامية ٢٠٠١م، كلية أصول الدين والدعوة جامعة الأزهر فرع المنوفية.

١٠- أثر الغزو الفكري على الأسرة المسلمة وكيفية مقاومته. رسالة ماجستير إعداد محمد هلال الصادق ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، كلية أصول الدين بالقاهرة قسم الدعوة والثقافة الإسلامية.

١١- الغزو الفكري مصادره وأهدافه وموقف الإسلام منه. جبر محمد حسن جبر، رسالة دكتوراه بقسم الدعوة بكلية أصول الدين بالقاهرة جامعة الأزهر ١٤٠٤هـ.

١٢- منهج جرجي زيدان في دراسة الأتراك تاريخيًّا وحضاريًّا. إعداد غادة حسن العزب، ماجستير معهد الدراسات والبحوث الآسيوية جامعة الزقازيق قسم حضارات.

١٣- الرد على الدهريِّين للسيد جمال الدين الأفغاني من الفارسية إلى العربية، صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية، بمساعدة عارف أفندي أبي تراب الأفغاني، ملتزم الطبع عبد العليم صالح المحامي بمصر الطبعة الثالثة ١٣٢٠.

١٤- الهجمات المغرضة على التاريخ الإسلامي. كتبه بالأزدية دكتور محمد ياسين مظهر صديقي، قسم الدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية عليكره، ترجمة دكتور سمير عبد الحميد إبراهيم رابطة الجامعات الإسلامية.

١٥- المنهج في كتابات الغربيين عن التاريخ الإسلامي. الدكتور عبد العظيم محمود الديب، كتاب الأمة ١٩٩٠م.

١٦- مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مكتب التربية العربي لدول الخليج، تأليف نخبة من العلماء.

١٧- المسلمون المنصرون أو المورسكيون الأندلسيون صفحة مهملة من تاريخ المسلمين في الأندلس. دكتور عبد الله محمد جمال الدين، دار الصحف للنشر ١٩٩١م.

١٨- الحضارة العربية في أسبانيا. ليفي بروفنسال، ترجمة الدكتور الطاهر أحمد مكي، الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م دار المعارف.

١٩- الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم. الدكتور مصطفى السباعي، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة.

٢٠- العلمانية في مصر وأشهر معاركها. الدكتور إلهام محمد شاهين ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

٢١- ملامح من حضارتنا العلمية وأعلامها المسلمين. الدكتور كارم السيد غنيم ١٩٨٩م - ١٤٠٩هـ، الزهراء للإعلام العربي.

٢٢- الإسلام والدعوات الهدامة. أنور الجندي، دار الكتاب اللبناني ١٩٨٢ والموسوعة الإسلامية العربية ٣.

٢٣- الإسلام في معركة التغريب. أنور الجندي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية القاهرة العدد الرابع والثلاثون.

٢٤- الإسلام في مواجهة حملات التشكيك. دكتور محمد حمدي زقزوق، اقرأ دار المعارف ٦٥٤.

٢٥- دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين وبيان الشُبه الواردة على السنة قديمًا وحديثًا وردها ردًا علميًّا صحيحًا. الدكتور محمد بن محمد أبو شهبه، ويليه الرد على من ينكر حجة السنة للدكتور الشيخ عبد الغني عبد الخالق رحمه الله تعالى مكتبة السنة.

٢٦- الغزو الفكري. محمد جلال كشك، المختار الإسلامي الطبعة الرابعة ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

٢٧- بين الإسلام والمسيحية. كتاب أبي عقيدة الخزرجي المنوفي سنة ٥٨٢هـ، حققه وقدم له وعلق عليه الدكتور محمد شامه، مكتبة وهبه.

٢٨- التدين المنقوص فهمي هويدي، مركز الأهرام للترجمة والنشر.

٢٩- الإسلام دين العلم والمدنية. الإمام محمد عبده، عرض وتحقيق وتعليق طاهر الطناحي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٣٨٤ - ١٩٦٤.

٣٠- الإسلام في وجه الزحف الأحمر. محمد الغزالي، المختار الإسلامي.

٣١- الفكر الإسلامي والمجتمع المعاصر.. مشكلات الأسرة والتكافل. محمد البهي، المكتبة العصرية صيدا بيروت.

٣٢- العلمانيون والإسلام. محمد قطب، دار الشروق.

٣٣- مفتريات على الإسلام. أحمد محمد جمال أستاذ الثقافة الإسلامية بجامعة الملك عبد العزيز، الطبعة الثالثة مطبوعات الشعب.

٣٤- الغزو الفكري. محمد جلال كشك، الطبعة الثانية الدار القومية للطباعة والنشر القاهرة.

٣٥- الإسلام بين شبهات الضالين وأكاذيب المفترين. يوسف القرضاوي، أحمد العسال بمراقبة البحوث والثقافة بالأزهر، مطبعة الأزهر.

٣٦- الإسلام دفع شبهات ودحض مفتريات. للدكتور أمين أمـين راشـد مدرس العقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطـا جامعـة الأزهر ١٤٠٥ - ١٩٨٥م.

٣٧- كفاح دين. محمد الغزالي، مطابع دار الكتاب العربي بمصر.

٣٨- القول المبين في الرد على المبشرين الإنجيليين. المفتقر إلى الله محمد طلعت ١٣٠٣هـ، ١٩٠٥م.

٣٩- دفاع عن الحديث النبوي وتفنيد شبهات خصـومه ويليـه مشـكلات الأحاديث والتوفيق بين النصوص المتعارضة. لجماعـة مـن نوابـغ العلمـاء بتصحيح الناشر زكريا علي يوسف.

٤٠- الإسلام والرد على منتقديه. الشيخ محمد عبده، الناشر محمد توفيق، مطبعة التوفيقيَّة الأدبية ١٣٤٣هـ.

٤١- إعادة النظر في كتابات العصريين في ضوء الإسلام. أنور الجندي، دار الاعتصام ١٩٨٥م.

٤٢- الرد على ابن النغريلة اليهودي. ورسائل أخرى لابن حزم الأندلسي تحقيق الدكتور إحسان عباس، جامعة الخرطوم ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م.

٤٣- الانتصار والرد على ابن الراوندى الملحد (ما قصد به مـن الكـذب على المسلمين والطعن عليهم). تأليف أبي الحسن عبد الرحيم من محمـد بـن عثمان الخياط المعتزلي، مع مقدمة وتحقيق وتعليقات للدكتور نبـرج الأسـتاذ بجامعة أجاله مملكة السويد، مكتبة الكليات الأزهريـة دار النـدوة الإسـلامية ١٩٩٧- ١٩٩٨ بيروت لبنان.

٤٤- الذين يلحدون في آيات الله. دكتور كامل سعفان، دار المعارف.

٤٥- التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام وحـض الشـبهات ورد مفتريات. محمد الغزالي، دار الكتب الحديثة لصاحبها توفيق عفيفي عامر.

٤٦- المؤامرة على الإسلام. أنور الجندي، دار الاعتصام.

٤٧- تنزيه القرآن عن المطاعن. إملاء قاضي القضاة عماد الدين أبي الحسن عبد الجبار بن أحمد المنوفي ﷺ ٤١٥هـ، الشركة الشرقية للنشر والتوزيع دار النهضة الحديثة بيروت لبنان.

٤٨- علمانيون أم ملحدون. محمد إبراهيم مبروك١٩٩٠.

٤٩- علم اليقين في الرد على المنتصر عماد الدين. الأستاذ السيد أحمد أفندي الشريف الحسن الفاطمي ١٣١١هـ.

٥٠- نيات الإيمان ونصرة القرآن في الرد على هاشم الطاعن في القرآن. الأستاذ العالم الشيخ محمد حلاوة المرصفي ١٣٢٩هـ.

٥١- الرد على الجهمية. أبي سعيد عثمان بن سعد الدرامي.

٥٢- مدنية العرب في الجاهلية والإسلام. محمد رشدي الخير إمام محكمة قنا ١٣٢٩هـ- ١٩١١م مطبعة السعادة.

٥٣- أدب العرب مختصر تاريخ نشأته وتطوره وسير مشاهير رجاله وخطوط أولى من صورهم. مارون عبود ١٩٦٨م، دار مأمون عبود بيروت دار الثقافة.

٥٤- الاستشراق. إدوارد سعيد، مؤسسة الأبحاث العربية بيروت طبعة ١٩٨١.

٥٥- أخطار الغزو الفكري على العالم الإسلامي. دكتور صابر طعيمة، عالم الكتب الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.

٥٦- أجنحة المكر الثلاثة. عبد الرحمن حنبكة الميداني، دار القلم دمشق بيروت طبعة ١٩٨٢م.

٥٧- الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية. د/ قاسم السامرائي، منشورات دار الرفاعي ١٤٠٣هـ.

٥٨- الاستشراق والتبشير وصلتها بالأمبريالية العالمية. إبراهيم خليل أحمد، مكتبة الوعي العربي.

٥٩- أفيقوا أيها المسلمون قبل أن تدفعوا الجزية. د/ عبد الودود شلبي، دار المجتمع ١٤٠٥هـ.

٦٠- تاريخ آداب اللغة العربية. جرجي زيدان، مراجعة وتعليق د/ شوقي ضيف، دار الهلال.

٦١- تاريخ الطباعة في الشرق العربي. د/ خليل صابان، الطبعة الثانية دار المعارف.

٦٢- التبشير والاستعمار في البلاد العربية. د/ مصطفى خالدي، د/ عمر فروخ.

٦٣- تطور الصحافة السورية. د/ إحسان عسكر، دار النهضة العربية ١٩٧٣م.

٦٤- الإسرائيليات في التفسير والحديث. محمد السيد حسين الذهبي، مجمع البحوث الإسلامية السنة الثالثة، الكتاب الثالث والسبعون، ١٣٩١هـ - ١٩٧١م.

٦٥- تحذير المسلمين من الأحاديث الموضوعة على سيد المرسلين. محمد البشير غافر الأزهري، طبعة أولى ١٣٢١هـ - ١٩٠٣م.

المحتويات

المقدمة ٧
الفصل الأول ١٣
عصر الاستعراب ١٥
الاستيلاء على كتب التراث الإسلامي ٢٦
الدوافع الاستشراقية ٣٠
الدافع الديني ٣٠
الدوافع الثقافية ٤٠
الدافع العلمي ٤٣
الدافع السياسي ٤٤
الدافع الاقتصادي ٤٦
الجمعيات الاستشراقية ٤٨
المؤسسة الأسيوية ٥٠
الجمعية الملكية الأسيوية لبريطانيا وأيرلندا ٥٣
الجمعية الشرقية الأمريكية ٥٤
جمعية المستشرقين الألمان ٥٦
الآثار المترتبة على دراسات المستشرقين ٥٧
الفصل الثاني ٦٥
المدارس والجامعات المستعربة ٦٧
إنشاء المدارس في قلب العالم الإسلامي ٧١
التعليم من خلال المدارس ٧٣
الصحف والمجلات ٨١

الفصل الثالث	٨٥
نشأة مجلة المشرق	٨٧
مؤسسوا المجلة	٨٩
موقف المجلة من القضايا والمؤسسات الإسلامية ونماذج من التزوير	٩٣
موقفها من كتابات المستشرقين	٩٣
موقفها من حزب الترقي	٩٥
موقف المجلة من المستعمرين	٩٦
موقف المجلة من الجامع الأزهر	٩٨
حركة الجامعة الإسلامية	٩٩
تفكيك العالم الإسلامي	١٠٠
المجلة وموقفها من التاريخ الإسلامي	١٠٣
المجلة وموقفها من اللغة العربية ومحاولة هدمها	١٠٦
المجلة والدعوة إلى الانحلال الخلقي للمرأة	١٠٨
جرجي زيدان	١١٠
بعض سواهد التزوير في روايات جرجي زيدان	١١٤
الفصل الرابع	١١٧
أسلوب التزوير المباشر	١١٩
التهكم والاستهزاء	١٣٠
الدس	١٣٥
الكتب المشحونة بالموضوعات والخرافات الإسرائيلية	١٤٢
جامع البيان للطبري	١٤٥
لباب التأويل للخازن	١٥٤
تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير	١٥٦
تفسير مقاتل بن سليمان	١٥٩

الكشف عن بيان تفسير القرآن للثعلبي ١٦٤
اتخاذ الأقوال الدخيلة والضعيفة كدليل على التزوير ١٦٧
أسلوب التزوير بالنتيجة ورفض الأدلة الشرعية ١٦٩
الخطأ وتجاهل الحقائق ١٧١
المراجع ١٧٥
المحتويات ١٨٢